تنبيـــه هـــام: إن هـــذه الجـــريـــدة تتضمـــن آيـــات من القـــرآن الكـــريـم فـــالـواجـــب عـــدم امتهـانـــهـا

قال سبحانه وتعالى:
«قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ»
يوسف 108.

السبيل

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال: هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ:
«وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»
حديث صحيح

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا - المدير المسؤول: إبراهيم الطالب - رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 - العدد15 - 08 رمضان 1427 هـ الموافق 01 أكتوبر 2006م - الثمن 5 دراهم

لماذا يصر العلمانيون في المغرب على محاربة كـل ما هـو إسلامـي؟

لماذا اتهمت جريدة الأحداث المغربية جريدة "السبيل" بالتحريض على القتل؟



التعليـــم!!! بين سندان الفرنكفونية ومطرقة العلمانية

مصابيح السبيل
- التثبت والتبـين
- اليقين والثقة بنصر الله

الصفحة: 12 - 13

مفاهيم يجب أن تصحح
- مفهوم مصطلح الأصول
- اختلاف الصحابة ليس مسوغا لمطلق الاختلاف

الصفحة: 9

رياض النساء
- المرأة والتعبد
- في رحاب القرآن والحجاب

الصفحة: 10-11

مستشار مكافحة الإرهاب: خسرنا معركة الأفكار ضد "الإرهاب"

الصفحة:24

"كـــلـمـة العــــدد"

بالأمس ودَّعنا عاما دراسيا انقضى، واليوم افتتحنا عاما جديدا، جديدا من حيث زمنه، قديما من حيث إكراهاته، إذ ما يزال قطاع التعليم يعيش بين هشاشة البنيات، وتربص العلمانيين، حتى أصبح لوجهة النظر القائلة بجعل وزارة التعليم هي الأخرى من وزارات السيادة صدى إيجابيا، حيث من شأنها أن تحد من عبث العلمانيين بعقول أبنائنا، خصوصا في هذه الآونة التي تعرف ضغوطا دولية على دول العالم الإسلامي حتى يغير مناهجه التعليمية وفق الشكل الذي يخدم مصالح الدول الكبرى المتسلطة.

ولعلي أسلط الضوء على خطورة تربص العلمانيين بقطاع التعليم من خلال إطلاع القراء الكرام على ما تناقلته بعض وسائل الإعلام بخصوص امتلاك أحد حاخامات اليهود لحل سحري من شأنه أن ينهي الصراع العربي-الصهيوني، وقد نشر الخبر كالآتي:

أكد الحاخام اليهودي "مردخاي فرومار" للمستمعين في أحد المعابد اليهودية أنه يمتلك حلاً سحريًا للصراع العربي الصهيوني، معتبرًا أن هذا الحل سيؤدي في حال تنفيذه إلى إنهاء الصراع الصهيوني مع الإسلام تمامًا.

وأعلن الحاخام لوسائل الإعلام التي لاحقته، أن لديه في الواقع ثلاثة حلول لإنهاء الصراع "الإسرائيلي" مع المسلمين، ولكن الحل الأقرب إلى قلبه وعقله هو: أن تبذل الدوائر الصهيونية في "إسرائيل" والعالم كله قصارى جهدها من أجل علمنة المجتمع الإسلامي كله بحيث يتم القضاء نهائيًا على كل أسس وتعاليم وتاريخ الإسلام على أن يتم ذلك عن طريق نشر فنون الجنس والإباحية ونشر ثقافة الدعارة في أوساط المسلمين.

وأشار إلى أن جميع هذه الوسائل ستؤدي إلى نزع الإسلام من صدور المسلمين وتحويلهم إلى مجتمعات علمانية بحته لن تبحث أبدًا خلف مقدساتها الإسلامية.

وأضاف أنهم سيسارعون حينذاك إلى بناء علاقات قوية مع "إسرائيل" وأمريكا والغرب من أجل الحصول على أحدث التقنيات الجنسية، وعلينا حينذاك أن نستخدم الإنترنت بشكل أكبر من أجل ترويج الأفلام والفنون الجنسية التي تسيطر على حماس شباب المسلمين حتى يصبحوا أكثر اقترابًا من الغرب ويبتعدوا تمامًا عن ثقافتهم الإسلامية.

و أردف قائلاً: "إن على إسرائيل أن تنسى تمامًا أية محاولة للتخلص من المسلمين عسكريًا، فلن تبلغ ذلك أبدًا طالما تبقت بداخلهم أدنى علاقة بهويتهم الإسلامية.. ولكن إسرائيل تستطيع عقب علمنتهم التخلص منهم بسهولة منقطعة النظير، لذلك علينا فقط من اليوم دفع العاهرات إلى المجتمعات الإسلامية وعلينا أيضًا ترويج الأفلام ومواقع الإنترنت الجنسية".

وأنهى حله السحري بقوله: "وعلينا شحذ حماسة المرأة المسلمة نحو تجميل نفسها وارتداء أقل الملابس حتى تكون أكثر فتنة للرجال.. وعلينا أن نضع في ذهن كل امرأة مسلمة أن إنجاب أكثر من طفل أو طفلين يذهب بجمالها.. وأن على المرأة المسلمة أن تعمل على الاهتمام بإظهار جمالها وليس ارتداء الحجاب الذي يغطي ذلك الجمال، ولنعمل على أن تسير كل امرأة مسلمة وهي عارية البطن".

واعتبر أن "المستقبل للعلمانية وليس للدين وعلى إسرائيل البحث عن العناصر المسلمة العلمانية وتقويتهم وإثارة حماسهم للعمل في إطار خطة علمنة المجتمع الإسلامي وعلى إسرائيل في الوقت نفسه الترويج عالميًا إلى أن الدين اليهودي هو الدين الحقيقي الوحيد في العالم كله!!"

من خلال ما سبق ينبغي الحذر كل الحذر من أن يبقى قطاع التعليم في أيدي العلمانيين، دون رقابة صارمة من طرف أجهزة الدولة، والجمعيات الغيورة على دينها خصوصا وأن هذا القطاع قد ناهز العقد من الزمن وهو رازح تحت أيدٍ علمانية تعمل الليل مع النهار حتى تغير المناهج والمقرَّرات وفق ما يخدم علمنة المغرب، متعاونة في ذلك مع منظمات تتخفى وراء دعم ثقافة حقوق الإنسان، بينما هي في الحقيقة تدعو بصراحة أو قل بوقاحة إلى ترسيخ أسس العلمانية في المغرب من خلال تقاريرها والتي كان آخرها تقرير بعنوان: "وثيقة باستنتاجات وخلاصات وشبكة قراءة كتب مدرسية من زاوية ثقافة حقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين" والذي انتقد كل ما يمت إلى الإسلام بصلة أو إلى الهوية الإسلامية بعلاقة، وطالب بتغييره وفق منظور الثقافة التي يدعو إليها واضعو التقرير والتي تتطابق مع أسس العلمانية.

فالحذر الحذر، قبل أن يفوت الأوان.

السبيل

قبل عبور السبيل

من ضوابط التربية والتعليم

غير خاف على أحد، ما للرسالة التربوية من أهمية بالغة، وما يعترض سبيل مؤديها من مشاق وصعبات جسيمة، لذا فإن أداءها لا يستقيم على الوجه الناضج والصورة الكاملة إلا بضوابط لا بد منها فمن أهمها:

1ـ الكفاءة العلمية:

بوب الإمام البخاري بابا في صحيحه سماه "باب العلم قبل القول والعمل" وهذا تنبيه منه إلى أن التربية والتعليم، وما يرتبط بذلك من العمل لا بد أن يتقدمه علم محكم، ومن ثمة فإن النتيجة الضرورية أن الطريق الصحيحة لفهم العلوم وتحصيلها، والتمكن منها، هي الأخذ المباشر عن المعلم الكفء، وإلا كان الخلط والاضطراب والاختلال في المعاني والمباني، ومن هنا وجب على معلمي الناس الخير أن يجمع بين العلم والعمل وبين بعد النظر وحسن السيرة.

ولا يكفي في المعلم أن يكون عالما متخلقا فحسب، بل يشترط فيه أن يكون ممن يأخذ أمر التعليم والتربية بحزم وجدية، وإلا صار معدودا في عداد المجروحين المتروكين.

ويشترط في المعلم أيضا أن يكون عفيفا قنوعا يتورع عن استغلال المتعلمين ماديا ومعنويا، فلا ينبغي أن يحملهم على الهدية وما شابهها، ويرغمهم على ذلك وإلا وقع في المحظور، يقول العلامة المالكي ابن سحنون رحمه الله: "ولا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئا من هدية وغير ذلك، ولا يسألهم في ذلك، فإن أهدوا إليه على ذلك، فهو حرام" آداب المعلمين 356، كما أنه لا يجوز له أيضا أن يستعمل تلامذته في قضاء أغراضه الشخصية، وفي هذا يقول ابن سحنون: "ولا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان في حوائجه" نفسه 359.

ليس هذا فحسب بل إن من مظاهر كفاءته أيضا أن لا يكون ميّالا إلى بعض المتعلمين دون بعض بل يجب عليه أن يكون عادلا منصفا، يقول ابن سحنون: "وليجعلهم بالسواء في التعليم، الشريف والوضيع وإلا كان خائنا" نفسه 360.

2ـ الدمج بين التربية والتعليم:

إذا كانت الغاية الوجودية للإنسان هي الخلافة عن صاحب الشرع في الأرض، فإنه لا بد له من الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح ومن هنا كانت الضرورة داعية إلى وجوب الدمج بين التعليم والتربية، وبين الحفظ والفهم والامتثال، فلا خير في علوم مجردة لا تنفع، ولا خير في علوم لا تترتب عليها فائدة للأمة قلت أو كثرت، في العاجل أو الآجل ولا خير في استقامة أو عدالة عرية عن العلم في الجملة، وما أروعها من كلمة نطق بها الإمام مالك إذ قال: "لقد سمعت من سبعينا شيخا أتقرب إلى الله بأدعيتهم، لا أروي عن أحد منهم حديثا" انظر ترتيب المدارك 1231، وإنما قال هذا لأنهم كانوا أهل سلامة لا تؤمن غفلتهم، وإن قويت ديانتهم، بل أكثر من ذلك فإن الإسلام لا يكتفي بالتربية والتعليم فحسب بل يتعداهما إلى أسلوب أعمق وأعظم من التعليم والتربية إنه أسلوب التزكية المقرونة بالحكمة يقول تعالى: "وَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" فالعلاقة بين التربية والتعليم علاقة أشبه ما تكون بعلاقة اللازم بالملزوم والفصل بينهما خراب ودمار.

أما في زماننا فقد انفصل التعليم عن التربية إلى حدٍّ فقد معه التعليم صبغته الإنسانية -إلا من رحم الله-، واكتسى صبغة آلية مجردة، فكان ما كان من العبث والانحلال وضعف التحصيل في صفوف التلاميذ ذكورا وإناثا وعجز المؤسسة التربوية عن تخريج فوج تشم منه رائحة الأئمة الأعلام والفقهاء الكرام في ورعهم وأخلاقهم ونبوغهم العلمي، وإلى الله المشتكى. انظر "القول المبين في الكشف عن صلة العلم بسياسة الدنيا وحراسة الدين" بتصرف

العدد 15 . 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

بيـــــان
من جمعية الدعوة إلى الكتاب والسنة بمراكش حول تصريحات بابا الفاتكان "بنديكت السادس عشر" المسيئة للإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أما بعد:

فإن ما أذاعته وسائل الإعلام هذه الأيام على لسان بابا الفاتكان "بنديكت السادس عشر" الذي تجرأ على الإسلام بكلام يُظن أنه قد أتى بجديد، والحقيقة أن هذا قديم بقدم عداوة أهل الكفر للإسلام، وقد صنفت فيه كتب وخصصت له فئات وهيئات، ومرر كثيرا على أبناء المسلمين في كثير من العصور، وتبناه الكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام مع الأسف.

ولا شك أنها محاولات متكررة، تتردد وتتلون بألوان مختلفة، وتبناها أكثر المستشرقين والمنصرين في كل مكان، وهذه الفرية العظيمة التي مفادها أن الإسلام هجوم وقتل وعنف، تُلقن ويُروج لها في كثير من بلاد الإسلام، والحقيقة أن الإسلام رحمة وسعادة ودين وسطية جمع بين خيري الدنيا والآخرة، جمع بين إصلاح الروح والذات، وبين إصلاح الفرد والجماعة، ولم يعرف التاريخ منذ بسطت الأرض وبنيت السماء أعظم من محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله إلى الثقلين الإنس والجن، وأخبر أنه رحمة للعالمين، ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم محبوب بالفطرة وبالعقل وهو الذي يختلج حبه الأفئدة الفطرية الصادقة، وكل من حاد عن حبه فقد حاد عن الفطرة والعقل فضلا عن أوامر الشرع، ووصفه ربه بأعظم وصفٍ وصفَ به نبيا فقال له :((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ))، وذِكرُه في القرآن دائما مقرون بالثناء والمدح، ولم يُذكر بالاسم المجردٍ كما ذُكر غيره من الأنبياء والملائكة، فمحاولة نبز الرسول صلى الله عليه وسلم ووصفه بأقذع الأوصاف هو في الحقيقة علامة جهل ومكر وخداع وإهانة لكل مسلم على الأرض، ومجلبة لسخط رب العالمين.

فعلى المسلمين سواء كانوا علماء أو حكاما أو شعوبا تكثيف الجهود في التعريف بحقيقة هذا الإمام المظلوم صلى الله عليه وسلم الذي ظلمه من لا يعرف قدره، وعلى حكام المسلمين أن يفتحوا القنوات ويصدروا الجرائد والمجلات، ويشجعوا كل من يعرف بقدر وحق الرسول صلى الله عليه وسلم.

وجزى الله خيرا ملكنا محمدا السادس الذي بادر ببادرة تحسب له في تاريخه، وذلك باستدعاء السفير، وبالرسالة التي أرسل، فنرجو الله أن يجعلها في موازين حسناته، وهكذا ينبغي لكل الحكام أن يقفوا وقفة رجل واحد في وجه كل من مس قداسة الرسول صلى الله عليه وسلم بأي نوع من أنواع المس، وهكذا العلماء وبقية المسلمين، فإن حق الرسول عظيم ويعظم أكثر إذا تعرض رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم لأي نوع من أنواع المس والأذى، وهكذا سنته صلى الله عليه وسلم التي تتعرض لكثير من الأذى من كثير من المنافقين في الداخل والخارج، ومع كل أسف فإن بعض وسائل الإعلام تنشر لبعض المنافقين المس بالرسول صلى الله عليه وسلم.

فالواجب على أمة الإسلام وفي الأرض التي يحكمها المسلمون ألا يمس الرسول صلى الله عليه وسلم في بلدهم وفي حكمهم، فإن هذا ليس من باب الحريات وإنما هو من باب التخريبات فمن زعم أنه حرية فقد أساء فهم الحرية.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الإثنين24 شعبان 1427هـ الموافق لـ 18شتنبر2006

محمد بن عبد الرحمن المغراوي

بيـــــان
من جمعية القاضي عياض لتحفيظ القرآن الكريم بسلا تستنكر فيه تطاول بابا الفاتيكان "بينيدكت السادس عشر" على الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وبعد، فلا نعتقد أن أمة وجهت إليها السهام كما وجهت إلى الأمة الإسلامية، ولا أمة حقد عليها الأعداء كما حقد على الأمة الإسلامية وما تلك السهام وتلك الأحقاد إلا لقوة عقيدتها، وعزة أهلها، ورحمتها بالناس.

فقد أطلت علينا وسائل الإعلام -هذه الأيام- على لسان المسمى "جوزف راتسينجر" والذي يشغل منصب بابا الفاتكان "بينيدكت السادس عشر" باتهامات في حق دين الإسلام ونبي الرحمة والسلام صلى الله عليه وسلم مفادها أن الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم هو دين قتل وعنف وإراقة للدماء.!!

مما ينبئنا أن الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين لا زال يعتلج في أفئدة كبرائهم، فمن تصريح "بوش" عن المسلمين الفاشيّين ، إلى كلام "البابا بينيدكت السادس"عن النبي صلى الله عليه وسلم وقبلهما كلام رئيس الوزراء الايطالي عن الحضارة الإسلامية، وبعده الرسوم المسيئة، لذا فلا يستغرب المسلم مثل هذه الاتهامات ممن هو على مثل تلك الحال، فهي تصدر عن مستنقع واحد وتخرج من حفرة واحدة، يجمع بينها الكره الواضح الناصع، وتوحدها الأسباب والدوافع.

فلسنا محتاجين أن نثبت أن دين الإسلام العظيم دين رحمة بالخلق أجمعين، فالتاريخ قد حفظ آلاف الشواهد اعترف بها المنصفون منهم، وقبله قال الله جل وعلا في حق نبينا الأمين:" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ".

وقال تعالى مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام ومخاطبا سائر الأنام عند دعوتهم لدين الإسلام: "ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ".

وحتى في حالة الحرب كان المسلمون يضربون للبشرية أمثلة الشهامة والنبل فهذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تربى على هدي نبي الرحمة كان عندما يرسل جيشه يوصي قائده بقوله رضي الله عنه: "..إني أوصيك بتقوى الله وطاعته، والإيثار له والخوف منه، وإذا لقيت العدو فأظفركم الله بهم؛ فلا تغلّل، ولا تمثل، ولا تغدر، ولا تجبن، ولا تقتلوا وليدا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تحرقوا نخلا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تعقروا بهيمة إلا لمأكلة، وستمرون بقوم في الصوامع يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له".

فنقول لبابا الفاتكان قولة من قال: رمتني بداءها وانسلت، فهاهي نصوص كتابك المقدس!! الذي تعلمونه أبناءكم، طافحة بالدعوة إلى العنف وإراقة الدماء، ومن ذلك ما جاء في سفر إشعيا 16:13"..وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساءهم".

وفي كتاب متى 34:10 ما نسب إلى المسيح عليه السلام: "لاتظنوا إني جئت لألقي سلاما على الأرض، ما جئت لألقي سلاما، بل سيفا...".

فأين السماحة المزعومة، وأين حوار الأديان التي تدعو إليه لتتخذ منه وسيلة لتنصير أبناء المسلمين تحت إغراء المال وسطوة الشهوات.

فالواجب -إذن- على حكام المسلمين وعلمائهم أن يكونوا على قلب رجل واحد ضد كل من يطعن في دين الإسلام ويمس جناب النبي عليه الصلاة والسلام فإن ذلك من أوجب الواجبات المنوطة بهم.

وفي الختام نقول لكل من سولت له نفسه الطعن في الإسلام العظيم والإساءة إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الإثنين 24 شعبان 1427هـ الموافق لـ 18 شتنبر 2006.

رئيس الجمعية
أحمد كطب

انطلاق أعمال قمة الفرنكفونية وسط غياب "إميل لحود"

انطلقت القمة الحادية عشرة لمنظمة دول الفرنكوفونية الناطقة بالفرنسية في العاصمة الرومانية بوخارست، والذي تسيطر على جدول أعمالها الملف اللبناني.

وقال الرئيس الروماني "ترايان باسيسكو" في افتتاح القمة: إن بلاده تتشرف باستضافة القمة كأول بلد أوروبي بعد فرنسا. ويحضر القمة رؤساء دول وحكومات 32 دولة، من أبرزهم السنغالي عبد الله واد والجابوني عمر بونجو، كما يحضر رؤساء حكومات ساحل العاج وكندا. بينما يعد الرئيس اللبناني "إميل لحود" أبرز الغائبين لعدم توجيه الدعوة إليه لحضورها.

وكان الرئيس "لحود" اتهم الرئيس الفرنسي بممارسة الضغوط على نظيره الروماني لعدم دعوة "لحود" إلى القمة، لكن الرئيس شيراك قال: "إن قرار عدم دعوة الرئيس "لحود" اتخذه الأمين العام للفرنكوفونية عبدو ضيوف والرئيس الروماني اللذان اتخذا مواقف تتوافق والمشاورات في الأمم المتحدة" على حد قوله.

ويتوقع أن يوجه المشاركون في القمة، الدعوة للدول الأعضاء بالمنظمة للمساهمة في إعادة إعمار لبنان، بالإضافة إلى تقديم الدعم السياسي للحكومة اللبنانية.

وكان الرئيس شيراك قد دعا المدن الفرنكوفونية إلى مساعدة بيروت في "استعادة بريقها وسحرها" وذلك في خطاب اختتم به الجمعية الدولية لرؤساء بلديات المدن الفرنكوفونية أمس بعيد وصوله إلى بوخارست.

ومن المقرر أن تركز القمة التي تعقد وسط إجراءات أمنية مشددة على موضوع تقنيات الاتصال في التعليم، كما تبحث القمة أيضًا الدفاع عن التعددية الثقافية والمواجهة التي تخوضها بلدان المنظمة والاتحاد الأوروبي مع الولايات المتحدة في منظمة التجارة العالمية في إطار رفضها التوجه الذي يقضي بوقف الدعم المالي الرسمي عن الصناعات الثقافية كالسينما والمسرح والنشر.

هل تصمد السودان أمام الضغط الأمريكي

الخبر

اقترح مجلس الشيوخ الأمريكي تعليق عضوية السودان في الأمم المتحدة وفرض عقوبات مالية واقتصادية عليها للضغط عليها للقبول بدخول قوات دولية إلى دارفور .

التعليق

عندما تمسكت الحكومة السودانية بعدم قبول دخول قوات دولية إلى دارفور، وأعلن الرئيس السوداني عمر حسن البشير أنه يفضل أن يكون قائداً للمقاومة الشعبية ضد الأمريكان على أن يكون رئيس جمهورية تحت راية الاحتلال، وقد اعتمد البشير في ذلك على أن التجارب الأمريكية الفاشلة في أفغانستان والعراق، والإسرائيلية في لبنان أثبتت وبما لا يدع مجالاً للشك أن إرادة الشعوب أقوى من الجيوش الأمريكية والإسرائيلية، وأن الإدارة الأمريكية ستفكر ألف مرة قبل الإقدام على حماقة إدخال تلك القوات بالقوة إلى السودان وكان هذا الحساب السوداني صحيح إلى حد كبير، فضلاً عن أنه يتفق مع الكرامة والدين والوطنية، ولكن الأمريكان يحاولون بطريقة أخرى تطويع السودان وحصاره والضغط على حكومته لتوافق بنفسها على ما رفضته سابقاً، وكان ذلك عن طريق صدور قرار مجلس الأمن الدولي بإدخال قوات دولية إلى دارفور ولكن بشرط موافقة الحكومة السودانية، وهكذا بدأ الضغط على حكومة السودان بطرق كثيرة منها اختراق الجبهة الداخلية ودفع زعماء وقوى سياسية سودانية في الحكومة أو في المعارضة إلى مطالبة الحكومة السودانية بقبول هذا القرار الدولي، ومنها دفع حركات التمرد في دارفور إلى التصعيد للضغط على الحكومة، ومنها حملة إعلامية ضخمة عن الأوضاع الإنسانية في دارفور معظمها مفتعل وكاذب ومختلق، أو مبالغ فيه لحصار حكومة السودان إعلامياً ونفسياً وسياسياً للقبول بالقرار الدولي، ومنها أخيراً التكشير عن الأنياب الأمريكية عن طريق مشروع قانون في مجلس الشيوخ الأمريكي بتعليق عضويته في الأمم المتحدة وفرض عقوبات مالية واقتصادية من خلال وقف الاستثمارات في السودان .

وقد حذرت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس الحكومة السودانية بأن الوقت ينفذ وأنها يجب أن تقبل ما لا مفر منه، والسؤال الآن هل تنجح تلك الضغوط الداخلية والخارجية في حمل السودان على القبول بما رفضته سابقاً، أم أنها ستظل صامدة وتضرب بذلك مثلاً جديداً بعد المثل الأفغاني والعراقي واللبناني بأنه من الممكن تحدي إرادة الأمريكان .

قانون منع التنصير في الجزائر يدخل حيز التطبيق الفعلي

أعلنت السلطات الجزائرية بدء التطبيق العملي "لقانون تنظيم الشعائر الدينية" في البلاد، والذي يهدف بحسب رأي كثير من المراقبين إلى الحد من الأنشطة التنصيرية، بعد أن ذكرت بعض الإحصائيات أن كثير من الجزائريين يرتدون عن الإسلام إلى معتقدات دينية أخرى نتيجة التأثير الذي تمارسه بعض الجماعات التنصيرية الأجنبية في البلاد.

وكانت وكالة الأنباء الفرنسية قد قامت بحملة عنيفة على القانون وادعت الوكالة أن القانون أثار استياءً كبيرًا في الأوساط الجزائرية غير المسلمة.

وينص القانون على إنزال عقوبات بالسجن تتراوح بين سنتين وخمس سنوات وغرامة بما بين 500 ألف إلى مليون دينار جزائري (ما بين خمسة وعشرة آلاف يورو) في حق كل من يحث أو يرغم أو يستخدم وسائل الإغراء لإرغام مسلم على اعتناق دين آخر.

كما ينص على إنزال العقوبات نفسها في حق كل شخص يصنع أو يخزن أو يوزع منشورات أو أشرطة سمعية بصرية أو أية وسائل أخرى تهدف إلى زعزعة الإيمان بالإسلام.

وبحسب ما نشرته إحدى وسائل الإعلام يمنع القانون ممارسة أية ديانة ما عدا الإسلام خارج أماكن العبادة المخصصة لها، ويُربط تخصيص المباني لممارسة الديانة بترخيص مسبق، وكان وزير الشئون الدينية عبد الله غلام الله، قد أعلن بعد سنّ القانون الجديد المنظم لممارسة الشعائر الدينية لغير المسلمين أن القانون يهدف في الأساس إلى حظر النشاط الديني المسيحي وحملات التنصير السرية.

ويأتي هذا القانون كرد فعل لنشاط الإرساليات التنصيرية في المناطق القبائليّة في الفترة السابقة وذلك من خلال بناء كنائس والتي بدورها أخذت تقدّم دروسًا في العقيدة المسيحية؛ الأمر الذي أدى إلى تنصّير مئات الشباب القبائليين الساخطين على الواقع السياسي والاجتماعي، وكان هؤلاء بعد تنصرهم يتلقون مساعدات ماليّة ورواتب شهريّة.

وكانت هذه الإرساليات تأخذ عناوين المواطنين وبعد أقل من أسبوع يتلقى هؤلاء الناس الأناجيل ودورات دراسيّة في العقيدة المسيحية تستمر لسنوات وتقديم دعوات لزيارة كنائس فرنسية، ويستمر إشراف هذه المؤسسات الدراسيّة التنصيرية على متلقي التعليم الكنسي عن طريق المراسلة وكل ذلك بتنسيق مع الإرساليات، ويضاف إلى ذلك قنوات إذاعية تنصيرية موجهّة إلى منطقة القبائل باللهجة الأمازيغية.

بينيديكت يطلب إلقاء محاضرة في الأزهر!

طلب وفد سفارة الفاتيكان في القاهرة وزير الأوقاف المصري "زقزوق" السماح بإلقاء "بينيديكت السادس عشر" محاضرة في جامعة الأزهر كنوع من الاعتذار عما سببته تصريحاته الأخيرة من إساءة للإسلام والمسلمين.

وبحسب صحيفة "المصريون" رحب الوزير "زقزوق" بالفكرة، لكنه طلب الوقت الكافي لإقناع شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي بها، خاصة أن الأخير صعد من خطابه ضد البابا قائلاً إنه "صمت دهرًا ونطق كفرًا".

وكان الأزهر قد جمد الحوار مع الفاتيكان وقطع أي اتصال معه بسبب تصريحات "بنيديكت السادس عشر" المسيئة للإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم، مشترطاً تقديم البابا اعتذارًا صريحًا للمسلمين عن هذه الإساءة.

وأكد الشيخ "عمر الديب" وكيل الأزهر ورئيس اللجنة الدائمة لحوار الأديان مسبقاً أنه تم تعليق حوار الأزهر مع الفاتيكان، ولن يحدث أي نوع من الاتصال بين الطرفين سواء في المؤتمر السنوي في فبراير أو غيره قبل صدور اعتذار رسمي صريح من البابا "بنيديكت"عن الإساءة للإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم.

السبيل
جريدة أسبوعية مستقلة شاملة
تصدر مرة في الشهر مؤقتا
الإيداع القانوني: 2005/0096
ملف الصحافة: 2 ن د 2004

العنوان: ص.ب 2177 سلا باب شعفة-سلا
الهاتف: 037.78.17.17
البريد الإلكتروني: assabil1@yahoo.fr
السحب: صفابرانت
التوزيع: شركة سبريس

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

إحصائية فرنسية: ارتفاع كبير في عدد الأجانب المطرودين

ذكرت وزارة الداخلية الفرنسية إحصائية أن عدد الأجانب المهاجرين غير الشرعيين والذين تم طردهم، قد بلغ 1874 أي أن نسبتهم بلغت 16,54 % أكثر مما كانت عليه في شهرغشت عام 2005م.

وأكدت وزارة الداخلية في إحصائياتها الشهرية عن تطور نشاط الهيئات الشرطية والحرس الوطني، مما نجم عنه طرد 1874 أجنبي خارج فرنسا.

وفيما يتعلق بإجمالي عدد الجرائم والجنح، أوضحت الوزارة ارتفاع في الانتهاكات التي تعلنها الهيئات بنسبة 14,74 % أي حوالي 26,000 قضية تم الإعلان عنها.

كما أنه تم تسجيل ارتفاع بنسبة 3,28 %في القضايا الخاصة بالعنف ضد الأشخاص (حيث هناك أكثر من 18,500 قضية، و8998 شخص تم التحفظ عليهم)

وكانت السلطات المحلية الفرنسية قد أمرت بإخلاء مجمع سكني للطلاب في ضواحي باريس بعد أن كان يقطنه مهاجرين بعضهم لا يحملون رخصات الإقامة، مما أسفر عن عدد من التظاهرات بباريس لمساندة الطلاب.

وفاة شاب مغربي في السجن تهز بلجيكا

أثار حادثة وفاة شاب مغربي ردود فعل عدة، وهي الوفاة التي يشتبه فيها عائلة المعني بالأمر في "بروكسل"، إذ انفجر شباب غاضبون وشنوا هجومات على عدة مواقع، وأضرموا النيران في سيارات شاجبين ما تعرض له الضحية، مما استدعى تدخل رجال الأمن في حي "ماروليس" لتهدئة الأوضاع، فيما استبعدت النيابة العامة فرضية الانتحار أو تورط عنصر آخر في هذه الوفاة.

وأفادت صحيفة "لاديرنير أور" على موقعها على الانترنت، أن عائلة فيصل شعبان المتوفى في السجن، بعد تلقي حقن مادة لم تحدد بعد، اختارت طريق الحوار.

وأشارت إلى أن والديه يطالبان بتحقيق العدالة، وأنهما رغم استقبالهما من طرف وزير العدل "لوريت أونكيلينكس" يؤكدان أن ابنهما اغتيل، وينفيان ما نسب إليه من أفعال.

وأوضحت الصحيفة البلجيكية استنادا إلى تصريحات والدي فيصل شعبان، أنه كانت له مشاريع، لو أتيحت له فرصة العمل، وتحدث والده وهو يبكي من هول الفاجعة التي ألمت به أن 95 %من مغاربة بلجيكا لم يبحثوا عن عمل نظير بحث ابنه، وأنه أحبط نتيجة الاعتذارات التي يتلقاها عن عدم قبول طلباته، رغم النقاط المهمة في نهج سيرته.

وكان فيصل شعبان معتقلا مدة تسعة أيام على ذمة التحقيق دون أدلة باستثناء شهادة مشكوك فيها لأحد رجال الأمن.

وأشارت عائلة الضحية، إلى أنه من المحتمل أن يكون ابنها لم يتحمل اعتقاله الاحتياطي منذ 16 شتنبر من أجل السرقة الموصوفة، وأنه قد يكون وضع في حبس انفرادي مع إعطائه مهدئات دون مراجعة ملفه الطبي ومن المنتظر أن تنقل جثة فيصل شعبان إلى المغرب لدفنه في القصر الكبير، بعد تشريحها أول أمس في العاصمة البلجيكية.

دولة فلسطينية على أساس حدود 67 "آمال كاذبة"

صرحت وزيرة الخارجية الصهيونية "تسيبي ليفني" خلال كلمة لها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بأن حل مشكلة اللاجئين يكمن في إقامة دولة فلسطينية، لكن على حدود غير حدود 1967.

وقالت "ليفني": "إذا كان الزعماء الفلسطينيون غير مستعدين لأن يقولوا هذا فإن العالم يجب أن يقوله لهم، وبدلا من بث آمال كاذبة فإن الوقت حان للكف عن استغلال قضية اللاجئين".

كما زعمت الوزيرة "أن السلطة الفلسطينية التي تهيمن عليها حكومة حماس تعلم الأطفال أن يكرهوا، وتسعى إلى تحويل الصراع من نزاع سياسي يمكن حله إلى مواجهة دينية لا نهاية لها".

وعلى صعيد آخر، قال رئيس الدائرة السياسية بمنظمة التحرير الفلسطينية فاروق القدومي إنه "لا توجد نوايا حقيقية لدى الولايات المتحدة لتحريك عملية السلام في الشرق الأوسط بشكل جدي".

وأضاف القدومي أنه "لم يشارك في الجمعية العامة للأمم المتحدة من أجل البحث عن معونات لبلاده وإنما عن حل سياسي"، معربًا عن عدم تفاؤله حول عملية السلام.

وكانت اللجنة الرباعية قد رحبت بجهود حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية، متعهدة بتمديد آلية تقديم المساعدات الطارئة للفلسطينيين ثلاثة أشهر.

لكن رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية جدد رفضه شروط اللجنة الرباعية الدولية التي تطالب حكومته بالاعتراف بـ"إسرائيل" قبل استئناف المساعدات المباشرة للسلطة.

كما انتقد الأمين العام للجامعة العربية "عمرو موسى"بيان المجموعة الرباعية الخاصة بالشرق الأوسط بشأن عملية التسوية، قائلاً: "إن ذلك البيان لا يرقى لمستوى العراقيل التي تواجه العملية".

يذكر أنه سبق اجتماع الرباعية لقاء ضمَّ الرئيس الفلسطيني محمود عباس مع نظيره الأمريكي "جورج بوش"، حيث اكتفى بوش بإعادة تأكيد أمله في قيام دولة فلسطينية تتعايش سلميًا مع "إسرائيل" ولم يُشِر إلى قضية المساعدات الأمريكية للفلسطينيين المعلقة منذ تولي حماس رئاسة الحكومة في مارس الماضي.

ديك تشيني يعترف

الخبر

أقر ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي بأنه كان مفرطاً في التفاؤل بشأن العراق، وأعترف ديك تشيني أن حركة "التمرد" المقاومة جاءت أصعب وأطول مما تصورها.

التعليق

قبل حوالي العام خرج علينا "ديك تشيني" نائب الرئيس الأمريكي بتصريحات تفيد أن حركة التمرد - التمرد من وجهة نظره طبعاً والمقاومة من وجهة نظر كل الأحرار والوطنيين في العالم - تلفظ أنفاسها الأخيرة ولكنه عاد وأعترف الآن في تصريحات لشبكة "NBC" أنه لا جدال في أن حركة المقاومة تستمر بشكل أطول وأصعب مما توقعه سابقاً.

كان "ديك تشيني" يراهن على مجموعة من العوامل أو الأوهام في ذلك الوقت الذي أدلى فيه بتصريحاته في يونيو من العام الماضي على أساس أن إطلاق العملية السياسية وتمرير الدستور وإجراء انتخابات برلمانية سيقلص مساحة التمرد، ولكن الذي حدث هو العكس على طول الخط، فالمقاومة صمدت أمام جحافل القوات الأجنبية والقوات الداخلية العميلة في الجيش والشرطة والتابعة للمتعاونين مع الاحتلال من الشيعة والأكراد، بل وفشلت كل العمليات السياسية المزعومة في وضع حد لتلك المقاومة أو جرها إلى مستنقع المفاوضات أو حتى حصارها وتحجيمها إذا لم يكن ممكناً القضاء عليها.

وفي الإطار نفسه فإن صحيفة "الواشنطن بوست" الأمريكية ذكرت أن تقريراً سرياً أعده ضباط المخابرات العسكرية العراقية بالتعاون مع خبراء أمريكيين خلص إلى أن أوضاع التمرد تزداد قوة، وأن محافظة الأنبار مثلاً أصبحت معقلاً للمقاومة السنية وأن الأوضاع هناك قاتمة جداً، وأنه لا تستطيع لا القوات الأمريكية ولا القوات العراقية الموالية للاحتلال أن تفعل شيئاً في هذا الإقليم، وأن المؤسسات الحكومية فيه قد انهارت وأن الفراغ تملأه المقاومة ووصل التقرير إلى حد وصف محافظة الأنبار، بأنها محافظة قد فقدتها القوات الأمريكية.

فرنسا تستكمل إجراءات ترحيل 11 إمامًا بدعوى "الإرهاب"

تستكمل وزارة الداخلية الفرنسية حاليًا الإجراءات الإدارية اللازمة لترحيل 11 إمامًا عن الأراضي الفرنسية، بدعوى الاشتباه في تحريضهم على العنف.

وحسب وكالة الأنباء الإيطالية، سيتم ترحيل الأئمة خلال الأسابيع أو الأشهر القادمة في حال ثبتت التهم الموجهة لهم.

وتطال عملية الترحيل أئمة من جنسيات مختلفة، معظمها مغاربية إذ تتعلق بـ"خمسة جزائريين، تونسيين، سوري، تشادي، باكستاني، يوغسلافي".

ويذكر أن السلطات الفرنسية تقوم بشكل دائم بترحيل الأئمة المسلمين الناشطين لمحاصرة المد الإسلامي المتنامي داخل الأراضي الفرنسية.

الفساد يصل لمعدلات غير مسبوقة في العراق

أكد رئيس هيئة النزاهة العراقية القاضي راضي حمزة راضي أن الفساد في العراق بلغ خلال العامين الأخيرين مستوى قياسيا غير مسبوق، مشيرا إلى أن كبار المسؤولين يفلتون من العقاب بسبب قوانين تسهل لهم الهروب خارج البلاد أو الاحتماء بالحصانة البرلمانية.

وقال راضي إن "الفساد ازداد واتسع" بعد سقوط العراق تحت الاحتلال الأمريكي وعزا ذلك إلى ضعف الدولة وتعاقب الحكومات قصيرة الأمد في العراق خلال العامين الماضيين.

وأكد راضي أن ثمانية وزراء من الحكومات المتعاقبة التي شكلت في العراق بعد سقوط بغداد أحيلوا للقضاء بتهمة الفساد ولكن محاكمتهم تتعثر لأن بعضهم نجح في الهرب وبعضهم الآخر يلوذ بالحصانة برلمانية.

وذكر أن من بين هؤلاء الوزراء الثمانية حازم الشعلان وزير الدفاع السابق في حكومة إياد علاوي "المتهم بإهدار 1,3 مليار دولار من المال العام".

وأوضح القاضي أن مكافحة الفساد تواجه مقاومة كبيرة مشيرا إلى "مقتل 15 قاضيا ممن حكموا في قضايا فساد أو إرهاب و21 من محققي هيئة النزاهة" خلال السنتين الأخيرتين.

وأوضح حمزة أن هيئة النزاهة بدأت فتح ملفات تهريب النفط موضحا أنها فتحت قبل ستة أشهر فرعا في البصرة حيث تتم عمليات تهريب للنفط تقدر قيمته "بمليارات الدولارات" مؤكدا أن محققي الهيئة هناك بدأوا متابعة الموضوع.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

لماذا يصر العلمانيون في المغرب على محاربة كل ما هو إسلامي؟

لماذا اتهمت جريدة "الأحداث" العلمانية جريدة "السبيل" بالتحريض على القتل؟

بقلم: إبراهيم الطالب

لم يُبْتلَ المغرب المسلم الأبيّ بشيء أخطر ولا أنكر ولا أمكر بعد استعماره من تسلط شرذمة من العلمانيين على مؤسساته الحساسة، فلقد حرص المستعمر الأوربي الغاشم في كل البلدان الإسلامية على أن لا يستأنف المسلمون الحكم بشريعة الإسلام وذلك لما عانته دوله من ذل واندحار خلال حروبها مع دولة الخلافة، قبل أن تتسلط عليها نبتة السوء المسماة العلمانية، لهذا ما فتئ المستعمرون لبلاد الإسلام ينسِّقون مع إخوانهم العلمانيين ويدعمونهم بالمال والأفكار والخطط حتى تكون لهم الغلبة على كل غيور على دينه، وهذا ما يراه كل ذي عينين في آخر محطات العداء السافر للأمة من فلسطين إلى العراق مرورا بأفغانستان وفي كل تلك المحطات تعمل العلمانية العربية إلى جانب دبابات المحتل المعتدي.

إلا أن المرء يقف مشدوها أمام صفاقة وجوه علمانيينا حينما يطالع ما ينشرونه من كذب على الله سبحانه، وكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، وما يبثونه من شبه حول أحكام الدين وما يستوردونه من سموم الحاقدين على الإسلام، ومع هذا كله يتصدون لكل مَنْ ينشر الإسلام أو يدافع عن أهله ويصفونه بالتحريض على الإرهاب والقتل.

لماذا اتهمت جريدة "الأحداث" جريدة السبيل بالتحريض على القتل؟

كعادتها في تتبع كل ما هو إسلامي لتشويهه، ومحاولة منها لإظهار جريدة "السبيل" بمظهر الداعي إلى الإرهاب المحرض على القتل قامت جريدة الأحداث المغربية في عددها 2781 بتاريخ 12 شتنبر 2006 بتسويد مقال دبجه صاحبه المعروف بعدائه للإسلاميين بكثير من الكذب والزور، وبدل أن يناقش كتّاب الجريدة بالحجة والبيان، آثر أن يسلك نفس منهج جريدة الأحداث في صد الناس عن الحق وأهله، وهدم القناعات الدينية، وإحلال الأفكار العلمانية مكانها، حيث عنون ما كتب بعبارة: جريدة "السبيل" والتحريض على القتل، واستهل كلامه بطرح أسئلة من قبيل: من الجهة المسؤولة عن هذه الجريدة؟ تمويلها؟ توقيت خروجها؟ وهل هي تنخرط في إعادة هيكلة الحقل الديني؟

ولا شك أن هذه الأسئلة كساها صاحبها بصبغة التهويل محاولا توجيه أذهان القراء حتى يقنعهم أن السبيل ومن يقومون عليها هم من جملة المتطرفين وأن تمويلها مشبوه، وأن كتّابها من الذين ينبذون مجتمعهم ويعادون المسلمين.

بينما تتمة المقال تمحورت كما صرح به هو نفسه، حول ثلاثة أمور:

1- التحريض على العلمانية واليساريين.

2- ممارسة السياسة في الجنس.

3- زرع الأحقاد تجاه الأديان الأخرى.

وتحت هذه العناوين جاء بمقتطفات من عدة مقالات ليبرهن على ادعاءاته، إلا أن القارئ المطلع على ما تنشره "السبيل" سرعان ما يكتشف سوء نية صاحب المقال إذ يتضح له أنه قام بقراءة انتقائية حاول من خلالها أن يصطاد في الماء العكر لبلوغ مراميه والتي تدور حول:

أ- استغلال الظرف المحلي الذي تمر به البلاد ومحاولة الوشاية لدى السلطات.

ب- محاولة التهجم على كتاب جريدة "السبيل" وإظهارهم للقراء على أنهم من المتطرفين حتى يصدّهم عما ينشرونه من حقائق تفند شبهات العلمانيين وتفضح مكرهم.

ج- التصدي للجريدة ومحاربتها لأنها حسب منهج "الأحداث" تؤخر هيمنة المد العلماني في المغرب.

وحتى يستبين القراء الكرام حقيقة العلمانية وعداءها للإسلام نتطرق في المحور الثاني لبيان بعض ما تنشره الأحداث المغربية .

حقيقة العداء بين العلمانية والإسلام:

العداء بين العلمانية والإسلام بدأ منذ عجزت الدول الأوربية عن تشتيت الدول الإسلامية ونقض عرى الخلافة بقوة السلاح، فلجأت إلى تصدير فكر الثورات الأوربية، ونشر فلسفات الإلحاد، فاستعملت في ذلك نصارى الشام المتعلمنين أمثال بطرس البستاني ولويس عوض وسلامة موسى فبثوا في بعض أبناء المسلمين كل ما من شأنه أن يصد عن الإسلام ويضعف التمسك به وبأحكامه.

ولا زال نفس العداء يتولى كِبره في بلادنا مجموعة من المؤسسات لعل أخطرها تأثيرا على المغاربة ما كان منها ذا طبيعة إعلامية، ومن ألدِّها عداء وأجرئها في نشر العلمانية بالمغرب جريدة "الأحداث" التي نُطلع القارئ الكريم على نتف مما تنشرها في أبنائنا دون أن نتحدث عن تشجيعها للشذوذ والبغاء والعري، ونشرها آلاف الصور الخليعة التي تخالف الدين والقانون، ولا ينبغي للقارئ الكريم أن يتخيل أن ما تنشره مثل هذه المنابر هو من باب اختلاف الرأي، بل هو منهج يلغي كل الثوابت الدينية والتاريخية ويهدمها ليبني مكانها صرح العلمانية النكدة، ولنترك القراء الأفاضل مع ما جادت به قرائح كتاب تلك الجريدة حتى يعلم في أي الخانات يضع هجومها على جريدة "السبيل" واتهامها بأنها تحرض على القتل:

العداء بين العلمانية والإسلام بدأ منذ عجزت الدول الأوربية عن تشتيت الدول الإسلامية ونقض عرى الخلافة بقوة السلاح، فلجأت إلى تصدير فكر الثورات الأوربية، ونشر فلسفات الإلحاد، فاستعملت في ذلك نصارى الشام المتعلمنين أمثال بطرس البستاني ولويس عوض وسلامة موسى فبثوا في بعض أبناء المسلمين كل ما من شأنه أن يصد عن الإسلام ويضعف التمسك به وبأحكامه.

تقول الأحداث في معرض التنقص من الخلافة الإسلامية:

-"إن الخلافة كانت وما زالت كارثة للإسلام والمسلمين ومصدرا للشرور والفساد". الأحداث عدد 2274 بتاريخ 20-4-2005.

بينما نراها تشيد بالعلمانية وتدافع عنها وتجعلها من ضروريات المجتمعات العربية، وتطالب بأن يبقى الدين مسألة شخصية، فلا مجال لإنكار المنكر ولا للأمر بالمعروف فتصرح دون خجل ولا وجل:

- "العلمانية ضرورية لأي مجتمع عربي، والدين يجب أن يظل مسألة شخصية". الأحداث عدد 2276 بتاريخ 22-4-2005.

بل تزداد صفاقة حين تمدح الاستعمار البريطاني والفرنسي للمنطقة العربية وتثني على ماقام به من محاربة لشريعة الإسلام وتثبيت للعلمانية في البلاد الإسلامية:

- "العلمانية العربية لم تفشل، بل على العكس من ذلك فمنذ مطلع القرن العشرين وبفضل الاستعمار البريطاني والفرنسي للمنطقة العربية تم تبني العلمانية الاقتصادية أو البنوك الربوية وفصل الدين عن الاقتصاد وكذلك بفضل هذين الاستعمارين تم تبني العلمانية في السياسة فوضعت الدساتير وأجريت الانتخابات التشريعية والانتخابات الرئاسية بدل "البيعة" بين "أهل الحل والعقد" كما هو في الموروث السياسي الديني وتم جزئيا فصل الدين عن الدولة ولم يبق من الدين في الدولة والدستور غير نص "دين الدولة الإسلام" وهو نص غبيٌّ لا يعني شيئا وقد وضع ترضية للمؤسسات الدينية". الأحداث عدد 2265 بتاريخ 11-04-2005.

أما استخفافها بعقائد الإسلام وأحكامه فلا حصر له ومنه قول أحد متطرفي كتابها الذين تستكثر بهم:

"..فهل هذا الغناء الجديد سلاح حاد في وجه موجات الإرهاب التي تجتاح العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه وعلينا أن نشجعه فالوقوع في غرام نانسي عجرم أو أليسا أو روبي أو هيفاء وهبي أفضل بكثير من الوقوع في شباك ابن لادن والظواهري والزرقاوي بل أكثر أمانا وأمنا للشباب الموعودين بحوريات خيالية وسحرية في الجنة من طراز هذه الحوريات الحقيقية ". الأحداث عدد 2606 بتاريخ 21-03-2006.

أما إنكارها لتحريم الخمر، وتشكيكها في فرضية الحجاب ودعوتها النساء إلى خلعه، ونضالها من أجل السماح للقساوسة المنصرين أن يمارسوا نشاطاتهم في صد المسلمين عن دينهم فقد كان موضوع عدة مقالات سبق نشرها في جريدة السبيل مما جعلها لا تطيق صبرا فجندت واحدا من كتابها الذين دأبوا على محاربة كل ما هو إسلامي، للكذب على السبيل وكتابها.

فليقارن القارئ الكريم بين ما تنشره السبيل وبين ما تبثه الأحداث ليعلم حقيقة افتراءات العلمانيين وعداءهم لكل ما هو إسلامي؟

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

لماذا ا التجرؤ على نبي الإسلام؟؟!!

كتبه: محمد أبو الفتح
أستاذ باحث

بعد الصحف الأوروبية التي أساءت إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، جاء دور البابا ليروج لنفس الفكرة التي روجت لها الرسوم، ألا وهي تصوير النبي صلى الله عليه وسلم على أنه رجل شرير سفاك للدماء.

و يمكن أن نستخلص من الحادثتين العبر التالية:

- أن العلمانيين والنصارى في بلاد الغرب يكنون في صدورهم حقدا على الإسلام ونبي الإسلام، وإن كانوا يجاملون المغفلين من المسلمين .

- أنهم يستغلون كل مناسبة تتاح لهم ليشوهوا صورة الإسلام ونبي الإسلامصلى الله عليه وسلم عند بني قومهم، مما يدل على أنه يزعجهم جدا انتشار الإسلام في بلادهم.

- أنهم لا يتهيبون من الأمة الإسلامية مما جعلهم يتجرءون على نبيها علنا وهذا لم يكن من قبل.

- أن عند الغرب جهل عميق بحقيقة الإسلام ونبي الإسلامصلى الله عليه وسلم.

هذا هو الواقع الذي تدل عليه الرسوم والتصريحات، فما واجبنا نحن المسلمين تجاه هذا الواقع؟

يتبين من خلال العبر السابقة أن المسلمين يتحملون نصيبا عظيما من الذي جرى تجاه نبيهم وذلك لأمور:

1 –أنهم بسلوكهم لا يعطون الصورة الحقيقية للدين الذي ينتسبون إليه، فلا تجد منكرا من منكرات الأقوال والأفعال إلا وهو منتشر في المجتمعات الإسلامية (شرك ،شعوذة، زنا، لواط ...) وقد يكون أحيانا بصورة أكثر من المجتمعات الغربية (رشوة، محسوبية، ظلم...)، فلو كان المسلمون متمسكين بدينهم الحق لعلم العالم بأسره عظمة الإسلام ونبي الإسلام.

وليعلم كل مسلم أنه بانحرافه عن أخلاق دينه قد يكون سببا في الصد عن سبيل الله، مما يجعله عرضة لعذاب الله ونقمته، قال تعالى: "وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ الْسُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (النحل94) ، قال ابن كثير:"... ثم حذر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلا أي خديعة ومكرًا، لئلا تَزِلَّ قدم بعد ثبوتها، مثلٌ لمن كان على الاستقامة فحادَ عنها وزل عن طريق الهدى، بسبب الأيمان الحانثة المشتملة على الصد عن سبيل الله؛ لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به، لم يبق له وثوق بالدين، فانصد بسببه عن الدخول في الإسلام؛ ولهذا قال: "وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ".

2 – أن المسلمين لو تمسكوا بدينهم لآتاهم الله ما وعدهم من النصر والقوة والتمكين في الأرض، ولكانت لهم هيبة في العالم تردع الحاقدين عن أن يتجرءوا على نبيهم هذا التجرؤ السافر.

قال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (النور55).

3- أن المسلمين مقصرين في التعريف بدينهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم، ولولا ذلك لعرف الناس قدره وفضله، قال تعالى: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (آل عمران104).

فعلى المسلمين في العالم أن يقوموا قومة رجل واحد ليصدوا العدوان عن نبيهم ليس بتنظيم مظاهرات يوشك أن تتفرق جموعها، ولا بترديد شعارات يوشك أن تبح أصوات المناديين بها، ولا بإحراق دمى وأثواب لا قيمة لها؛ وإنما برجوع صادق إلى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم بذلك يعاملون هؤلاء الحاقدين بنقيض قصدهم إذ كان غرضهم بالطعن في النبي صلى الله عليه وسلم أن ينفروا الناس عن اتباع ما جاء به .

وكذلك من واجب المسلمين أن يبيِّنوا للأمم الأخرى النور والهدى الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الله أرسله رحمة للعالمين، قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 107)، ويدخل في هذا العموم حتى أولئك الذين أساءوا إليه، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، فلينظر هؤلاء الحاقدون كيف يقابلون رحمة الله، وليعلموا أنهم بذلك يتعرضون لعذاب الله ، قال تعالى:" وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (التوبة61).

.ثورةُ المَنطِقِ في وَجهِ البَابا..

صالح العمري

أين العدالةُ والهُدى والمَنْطــقُ؟!
والقسُّ جانٍ.. والمؤرِّخُ أخْرَقُ!
والرَّبُّ ثالوثٌ - تعــالى جَدُّهُ-
هــو واحــدٌ لـكـنّهُ مُتَفَــرِّقُ!
أينَ العدالةُ والهُدى والمَنْطـــقُ
والأمُّ تَحْـمِل بالإلــهِ وتَطْلقُ!
فهو الجنينُ تَحَشْرَجَتْ أوْدَاجُه
وهو الرضيعُ المُسْتَغيثُ المُوْثَقُ!
وهو الغريبُ هنا يطاردُهُ الظما
طَوْرا فيُسْقَى، أو يَجُوعُ فيُرْزَق!
وهو الطريدُ هنا..المُعذَّب هاهنا
وهناك في عَرْضِ الصليبِ مُعلَّقُ!
وهو الدَّفَيْنُ هنا ثلاثا فأعْجَبُوا
من ذا الذي يُحيي بهن ويرزقُ؟!
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟!
والذَّنْبُ إرثٌ والمُخَلِّصُ يُشْنَقُ!
ورقابُهُـمْ أُسِــرَتْ بزلّــةِ آدم..
مالي بوزرِ الآخَرينَ أُطَــوَّقُ؟!
واللهُ أوسـعُ رحمةً وعــدالـــة
من أن يُجَرِّمَهُمْ ولـمّـــا يُخلقوا
وأرى المُخَلِّصَ لَمْ يُخلّصْ نَفْسَه
وهو الضَّعيفُ المُسْتَباحُ المُرْهَق!
وصكوكُ غُفْرَانِ الذُّنُوبِ تِجَارةٌ
فالقسُّ يَجْمَعُ والكنيسةُ تَعْـتـِـقُ
وتُقَدَّسُ الصُلْبَانُ إجماعاً وقـد
صُلِبَ الإلهُ بها فأينَ المَنْطِقُ؟!
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟!
والقِسُّ يكْذِبُ والحقائقُ تُزْهَقُ
فإذا اليهـــودُ القَاتِلونَ بعُرْفِـهم
رَمزُ البَـراءِ..وقسُّـهم يتملّــقُ
كم هيّجَ الأحقادَ في حَمَلاتِهِ
ولِكُلِّ جَيْـشٍ للقسَاوسِ فيلقُ!

نيرانُ كُرهٍ في حُطام ملاحِمٍ ..
والموتُ يُرْعِدُ، والعَدَاوةُ تُبْرِقُ
وَفَدوا إلى أَرْضِي بِكلِّ سَرِيّــةٍ
فَبَكَتْ فلسطينُ وضجَّ المَشْرِقُ..
ومَحَاكمُ التَّفْتِيشِ يَشْهَدُ قَبْوهَا
بِجَحِيمِها وسجونُها والخَنْدَقُ..
وأبو غريبٍ فضائحٌ مشهــودةٌ
وسجونُ كوبــا أنّــةٌ تتحرّقُ
وَغدَتْ رُبا الأَفْغانِ قاعاً صفصفاً
وهنا العراقُ ضغائنٌ تتدفّقُ
عيسى رَسُولُ محبةٍ وتسامحٍ
والقِسُّ يَعْبَثُ في البلادِ ويَحْرِقُ!
عيسى لأخْلاقِ الوَفَاءِ منَارةٌ
والقِسُّ يَغْدُرُ بالعِبَادِ ويَسْــرق !
عيسى يُقيمُ المَيْتَ من غفَواتِهِ
والقِسُّ يَغْتَالُ الحيَاةَ ويُزْهِقُ !
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟ !
والفِكْرُ يُغْمَطُ.. والحِجَا مُسْتَغْلَقُ
حاربتُمُ العِلْمَ الحديثِ بِغِلْظــة
ودمــاءُ "غاليلو" هُنالكَ تُهْـرَقُ!!
وغللتُمُ العَقْلَ الصَّرِيحَ تَعَنُّتــــا
فإذا رؤى الإلحـــادِ ظلٌّ مُونِقُ
ولِكلِّ إنجيلٍ لديكم وُجْهـــةٌ
والزَّيْفُ في أصْلِ الروايةِ يُوبِقُ..
والسِفْرُ عندكمُ عُــرى وثنيّــةٍ
عن بولسٍ .. وهو الدَّعيُّ المُلْصَقُ
وكتــابُنا متــواترٌ.. ونبيُّنـــا
خيرُ البريَّــة .. والحديثُ مُوثَّقُ..
و"عشاؤكم" فيهِ القساوسُ تحتسي
أمَّ الخبائثِ والجموعُ تُصَفِّقُ

و بشرعِكم لا للتعددِ.. والزِّنَــــا
متيسِّرٌ .. والزوجُ ليستْ تَطْلُقُ !!
الزاهدونَ عن الزواجِ وقسُّــهم
يُثْني على خُلِقِ الشذوذِ فيغْدِقُ
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟!
وروايــةُ التــأريخِ لا تتملّقُ..
لمّا حكمْنا الأرضَ أشرقَ دينُنا
نوراً.. وراياتُ الأمانِ تُحلِّقُ..
وتألقتْ شمسُ الحضَارةِ في الدُّنــا
عــدلاً وعلمــاً وائتلافــا يعْبِقُ..
تلْكَ القصورُ الشامخاتُ شواهدٌ
للــدهرِ بالحقِّ المُغيَّــبِ تنْطِقُ
فاسألْ بلنْسية وقرطُبة النَّــدى
وصروحُها بالمُعْجزاتِ تفَــتَّقُ
واسألْ سُهولَ القِبْطِ كيف تسربلتْ
أمناً، وآيــاتُ العهودِ توثَّق
حتى إذا دارَ الزمانُ لكُمْ غدتْ
أرضي بأصنافِ العَداوةِ تفْهَقُ
فإذا بلادُ الشامِ نـــارٌ تصْطَلي
والقُدْسُ تُسْبى والخليلُ وجِلَّقُ..
وإذا بذورُ الكُرْهِ تربو نبتــه
للثائرينَ وفَجْــرُهُمْ يَتَـفلّـــقُ
فإذا فلــولُك مُسْـلِمٌ ومُسـلِّمٌ
والهالكونُ كأنَّهُمْ لَمْ يُخلقــوا...
أين العدالةُ والهُدى والمَنْطقُ؟!
والعقلُ يحجبُه الظلامُ المُطْبِقُ..
ما دينُكم يا أيُّها البابا ســوى
إرهابِ رُهْبَانٍ .. و حُمْـقٌ يغْـرِقُ..
فتكتْ بنـــا الفتيكـانُ فَتْكاً حينما
غابَ النُّهى دهراً وطاشَ المنطقُ..
دعني أُخاطبُ كلَّ صاحبِ فِطْنة
واللهُ يَهْدي من يشاءُ ويُعْـتِقُ..
يا ابن النصارى آنَ أنْ تصحو فقدْ
جـارَتْ سياستُكم و ضـلَّ البِطْرقُ..

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

أسرار وراء كلام البابا عن الإسلام ونبيّه

بقلم: عبد الله الزايدي

يعجب بعض المتابعين من الحملة المتزايدة على الإسلام من بعض الزعماء الدينيين والسياسيين النصارى في السنوات الأخيرة، وتساءل بعضهم عن سر التوقيت والتزامن، فمن كلام "بوش"عن المسلمين الفاشيّين، إلى كلام "البابا بندكت السادس" عن النبي صلى الله عليه وسلم وقبلهما كلام رئيس الوزراء الايطالي عن الحضارة الإسلامية، وبعده الرسوم المسيئة، وغير ذلك من حملات التشويه.

وربما تساءل البعض عن الأسباب الكامنة في هذه الحملات المتوالية، وربما حمّل بعض الكتّاب إخوانه المسلمين وزر هذه الحملات نظراً لما حدث من بعضهم من أعمال تفجير وقتل.

وأقول: إن ثمة أمراً مهماً ينبغي ألاّ نغفل عنه ونحن نبحث في السر الحقيقي وراء هذه الحملات، ألا وهو الانتشار الواسع لدين الإسلام في معاقل النصرانية، الأمر الذي أقضّ مضاجع الرؤساء الدينيين والسياسيين، مما حدا ببعضهم للكلام الصريح عن ضرورة التصدي لانتشار دين الإسلام، وهذه بعض الإحصاءات والأخبار التي تشهد بهذا الانتشار:

أ - زيادة أعداد المساجد في دول الغرب:

ففي قلب أوروبا بدأت أعداد المساجد فيها تنافس أعداد الكنائس في باريس ولندن ومدريد وروما ونيويورك، وصوتُ الأذان الذي يرفع كل يوم في تلك البلاد خمس مرات، خيرُ شاهد على أن الإسلام يكسب كل يوم أرضاً جديدة وأتباعاً جدداً.

فقد أصبح للأذان من يلبيه في كل أنحاء الأرض، من طوكيو حتى نيويورك، وعند نيويورك ومساجدها نتوقف، ففي أوقات الأذان الخمس ينطلق الأذان في نيويورك وحدها من مائة مسجد، و بلغ عدد المساجد في الولايات المتحدة الأمريكية ما يقرب من 2000 مسجد والحمد لله، وترتفع في بريطانيا مئذنة نحو 1000 مسجد، وتعلو سماء فرنسا وحدها مئذنة 1554 مسجداً ولا تتسع للمصلين، وأما ألمانيا فتُقدّر المساجد وأماكن الصلاة فيها بـ2200 مسجد ومصلى، وأما بلجيكا فيُوجد فيها نحو 300 مسجد ومصلى، ووصل عدد المساجد والمصلّيات في هولندا إلى ما يزيد عن 400 مسجد، كما ترتفع في إيطاليا وحدها مئذنة 130 مسجداً، أبرزها مسجد روما الكبير، وأما النمسا فيبلغ عدد المساجد فيها حوالي 76 مسجداً.

هذه فقط بعض الدول في أوروبا الغربية، عدا عن أوروبا الشرقية، والإقبال على الإسلام يزداد يوماً بعد يوم، ومن هذه المساجد يتحرك الإسلام، وينطلق في أوروبا، لذلك ليس غريبا أن تشدّد أوروبا وأمريكا في أمر المساجد ومراقبة أهلها، والتضييق في إعطاء الرخص لبنائها، ومن المفارقات العجيبة أن كثيراً من هذه المساجد كانت كنائس فاشتراها المسلمون وحولوها إلى مساجد!

ب - تحذير الصحف الغربية من انتشار الإسلام:

فقد بدأت الصحف الغربية تطلق صيحات تحذير من انتشار واسع لدين الإسلام بين النصارى، ومن ذلك ما جاء في مقال نشر في مجلة "التايم" الأمريكية "وستشرق شمس الإسلام من جديد، ولكنها في هذه المرة تعكس كل حقائق الجغرافيا، فهي لا تشرق من المشرق كالعادة، وإنما ستشرق في هذه المرة من الغرب".

أما جريدة "الصانداي تلغراف"البريطانية فقالت في نهاية القرن الماضي: "إن انتشار الإسلام مع نهاية هذا القرن -يعني الذي مضى- ومطلع القرن الجديد -يعني الذي نحن فيه- ليس له من سبب مباشر إلاّ أن سكان العالم من غير المسلمين بدؤوا يتطلعون إلى الإسلام، وبدؤوا يقرؤون عن الإسلام، فعرفوا من خلال اطلاعهم أن الإسلام هو الدين الوحيد الأسمى الذي يمكن أن يُتبع، وهو الدين الوحيد القادر على حل كل مشاكل البشرية".

مجلة "لودينا" الفرنسية قالت بعد دراسة قام بها متخصصون: "إن مستقبل نظام العالم سيكون دينياً، وسيسود النظام الإسلامي على الرغم من ضعفه الحالي، لأنه الدين الوحيد الذي يمتلك قوة شمولية هائلة".

ج - انتشار بيع نسخ القرآن الكريم والكتب الإسلامية

وبعد تفجيرات الحادي عشر من شتنبر، التي كان لها آثار سيئة واسعة على النشاطات الإسلامية في الغرب وعلى دول الإسلام، إلاّ أنه مع ذلك ازداد في العالم الغربي الإقبال على التعرف على الإسلام بصورة غير متوقعة، وأصبحت نسخ القرآن الكريم المترجمة من أكثر الكتب مبيعاً في الأسواق الأمريكية والأوروبية حتى نفدت من المكتبات، لكثرة الإقبال على اقتنائها، وتسبب ذلك في دخول الكثير منهم في الإسلام، وفي ألمانيا وحدها بيعت خلال سنة واحدة 40 ألف نسخة من كتاب ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية، كما أعادت دار نشر "لاروس" الفرنسية الشهيرة طباعة ترجمة معاني القرآن الكريم بعد نفادها من الأسواق.

د- تزايد أعداد الداخلين في الإسلام

ففي عام 2001م نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" مقالاً ذكرت فيه أن بعض الخبراء الأمريكيين يقدرون عدد الأمريكيين الذين يعتنقون الإسلام سنوياً بـ 25,000 شخص، وأن عدد الذين يدخلون دين الله يومياً تضاعف أربع مرات بعد أحداث الحادي عشر من شتنبر حسب تقديرات أوساط دينية، والمدهش أن أحد التقارير الأمريكية الذي نشر قبل أربع سنوات ذكر أن عدد الداخلين في الإسلام بعد ضربات الحادي عشر من شتنبر قد بلغ أكثر من ثلاثين ألف 30,000 مسلم ومسلمة، وهذا ما أكده رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكي، إذ قال: "إن أكثر من 24,000 أمريكي قد اعتنقوا الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من شتنبر ، وهو أعلى مستوى تَحقّق في الولايات المتحدة منذ أن دخلها الإسلام".

أما في فرنسا فقد أوردت صحيفة "لاكسبريس" الفرنسية تقريراً عن انتشار الإسلام بين الفرنسيين جاء فيه: "على الرغم من كافة الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الفرنسية مؤخراً ضد الحجاب الإسلامي وضد كل رمز ديني في البلاد، أشارت الأرقام الرسمية الفرنسية إلى أن أعداد الفرنسيين الذين يدخلون في دين الله بلغت عشرات الآلاف مؤخرًا، وهو ما يعادل إسلام عشرة أشخاص يوميًا من ذوي الأصول الفرنسية، هذا خلاف عدد المسلمين الفعلي من المهاجرين ومن المسلمين القدامى في البلاد".

وقد أشار التقرير إلى أن أعداد المسلمين في ازدياد من كافة الطبقات والمهن في المجتمع الفرنسي، وكذلك من مختلف المذاهب الفكرية والأديان، من علمانيين إلى بوذيين إلى كاثوليك وغيرهم.

كما ورد في التقرير إلى أن عدد المعتنقين الجدد للإسلام من الفرنسيين يصل إلى 60,000 مؤخرًا، سواء أولئك الذين أسلموا بدافع حبهم وإعجابهم بهذا الدين، أو بدافع البحث عن الهوية والبحث عن الذات، الكثير منهم من شباب المدن، منهم مهندسون.. جامعيون.. رؤساء شركات.. مدربون.. مدرسون.. طلاب.. عاطلون.. متحفظون أو متدينون بشكل واضح..

كل هؤلاء الأشخاص يشكلون لبنة جديدة في المجتمع الإسلامي الجديد، وهم بمثابة الأسرة الكبيرة في مختلف مجالات الحياة بالمجتمع الفرنسي، ومن هؤلاء على سبيل المثال: مغني شهير في مدينة مرسيليا المسمى إخناتون، ولاعب الكرة (فرانك ريبري)، ومصمم الرقصات (موريس بيجار) وأيضًا (كليمون) -أصغر أبناء رئيس وزراء الحزب الاشتراكي السابق- موريس توريز..

ونظراً لهذه الشواهد المؤكدة لإقبال الغربيين على الإسلام فقد حذّر أسقف إيطالي بارز من (أسلمة أوروبا)، وفي مدينة بولونيا الإيطالية حذّر أسقف آخر من أن الإسلام سينتصر على أوروبا إذا لم تغدُ أوروبا مسيحية مجدداً..

ونظراً لأن النصارى خصوصاً رجال الدين ينظرون للإسلام بصفته ديناً منافساً، فقد رأوا فيه خطراً على أوروبا، ولذا حرصوا على إثارة الشبهات حوله لحماية النصارى من خطره كما يتصورون.

وقد جاءت الأحداث الأخيرة ليتخذوا منها أدلة يؤيدون به مزاعمهم الباطلة عن الإسلام، فزعم كثير من غلاة النصارى أن حوادث الإرهاب سببها دين الإسلام، يمكن لكل عاقل أن يجيب عن هذه الشبهة بحوادث التاريخ القريب، والواقع الذي نعيشه؟

فهل نقول: إن دين النصارى هو سبب الإرهاب لأنهم خلال الحربين العالميتين قتلوا الملايين من أبناء جلدتهم النصارى؟ فضلاً عمن قتلوهم من المسلمين أثناء حروبهم الاستعمارية.

هل ننسب القتل والتدمير إلى دينهم، لأن الأمريكان النصارى قتلوا مئات الآلاف بالقنبلة الذرية؟

هل نقول: إن دين النصارى يدعو للقتل واحتلال البلدان الأخرى، لأن الرجل المتدين المحافظ ربيب القسس (بوش)، غزا العراق ودمرها وقت آلاف المدنيين العزل، وأحدث فيها فوضى يجني مرارتها ملايين العراقيين؟

هل نقول: إن دين النصارى دين القتل والإرهاب، لأن قسس ورهبان "الهوتو" في إفريقية ساهموا في المذابح التي حدثت "للتوتسي"، وقد طُلب بعضهم كمجرمي حرب للأمم المتحدة؟

هل ما حدث في البوسنة والهرسك من مذابح واغتصاب للمسلمين على أيدي الصرب يُحسب على دين النصارى وعلى المسيح عليه السلام، لأنه جاء في الإنجيل "ما جئت لألقي سلاماً على الأرض بل سيفاً"؟

هل مذابح المسلمين في ليبريا وسيراليون التي قام بها النصارى ننسبها للمسيح ودينه؟

إن على البابا بندكت أن يصلح حال كنائسه التي زكمت فضائح شذوذ رجال الدين فيها الأنوف قبل أن يتحدث عن الإسلام ونبيِّه بتلك اللهجة المتحاملة،فمن كان بيته من زجاج لا يرمي الناس بحجر.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

اختلاف الصحابة ليس مسوغا لمطلق الاختلاف

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "ما أحب أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا، لأنه لو كان قولا واحدا كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، ولو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة" رواه ابن عبد البر في جامعه 902/2، وانظر الفتاوي 80/30.

استدل بعض الناس بهذه المقولة على أن كل قول محكي عن السلف والعلماء في الشريعة فهو مقبول، من باب أن هذا من رحمة الله على العباد، وأنه توسعة على المكلفين، بغض النظر عن نوع الخلاف، هل مما يستساغ شرعا أو لا؟ وبغض النظر هل بين هذه الأقوال تعارض تام أو لا؟ ومن غير مراعاة في القول هل وافق الكتاب والسنة أو خالفهما؟.

مع العلم أن العلماء رحمة الله عليهم قد حملوا قولة عمر بن عبد العزيز على مسائل الاجتهاد خاصة، أو ما يعرف عند أهل العلم بالخلاف السائغ، وهو: كل ما لم يقم عليه دليل قاطع من نص صحيح أو اجماع صريح، ويكون ذلك -كذلك- في المتشابه الذي يقبل تعدد الأفهام والتفسيرات، ويكون ذلك في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات. انظر الاعتصام 168/2، والموافقات 155/4.

ولذلك قال الحافظ بن عبد البر رحمه الله معلقا على كلمة عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "هذا فيما كان طريقه الاجتهاد" جامع بيان العلم 902/2.

وقال إسماعيل القاضي رحمه الله: "إن التوسعة في اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توسعة في اجتهاد الرأي، أما أن يكون توسعة بأن يقول الناس بقول واحد منهم من غير أن يكون الحق عنده فيه: فلا، ولكن اختلافهم يدل على أنهم اجتهدوا فاختلفوا".

قال ابن عبد البر معلقا: "كلام إسماعيل هذا، حسن جيد" جامع بيان العلم 907/2.

إذن فوصف الخلاف والاختلاف بالتوسعة أو الرحمة محمول على الخلاف الاجتهادي لامطلق الخلاف، كما قيل:

ليس كل خلاف جاء معتبرا
إلا خلاف له حظ من النظر

قال الزركشي رحمه الله: " اعلم أن الله لم ينصب على جميع الأحكام الشرعية أدلة قاطعة بل جعلها ظنية قصدا للتوسيع على المكلفين، لئلا ينحصروا في مذهب واحد بقيام الدليل القاطع" انظر تسهيل الوصول للمحلاوي 240.

وها هو شيخ الإسلام رحمه الله احتج بكلمة عمر بن عبد العزيز رحمه الله في سياق الحديث عن المسائل الاجتهادية الظنية حيث قال في معرض الجواب عمن منع الناس من فعل شيء الخلاف فيه سائغ: "ليس له منع الناس من مثل ذلك، ولا من نظائره مما يسوغ فيه الاجتهاد... ولهذا لما استشار الرشيد مالكا أن يحمل الناس على موطئه في مثل هذه المسائل منعه من ذلك وقال: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الأمصار، وقد أخذ كل قوم من العلم ما بلغهم.

وصنف رجل كتابا في الاختلاف، فقال أحمد: لا تسمه كتاب الاختلاف، ولكن سمه كتاب "السعة".

ولهذا كان بعض العلماء يقول: إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة (ثم ذكر كلمة عمر بن عبد العزيز)" الفتاوي 30/79-80.

فكلمة عمر بن عبد العزيز رحمه الله محمولة -إذن- على الأمر الإجتهادي السائغ الذي قاله عالم جليل، واحتمله الدليل، ووافق القواعد والتأصيل.

أما ما دل عليه الدليل الصحيح الصريح فلا يجوز مخالفته.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "إذا تنازع المسلمون في المسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله، فأي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه" الفتاوي 67/19.

فالحذر الحذر من الفهم الخاطئ الذي حملت عليه كلمة عمر بن عبد العزيز لإنه فهم سقيم سقيم، وسبب للقول بمذهب ردي يعرف عند العلماء بمذهب المصوبة الذي قال فيه أبو إسحاق الإسفرائيني رحمة الله عليه: "أوله سفسطة، وآخره زندقة" السير 355/17.

بالإضافة إلى أن هذا الفهم يفضي إلى تتبع رخص المذاهب أو اختيار الأيسر مطلقا من غير استناد إلى دليل شرعي، وقد حكى ابن حزم رحمه الله الاجماع على أن ذلك فسق لا يحل، انظر الموافقات 143/4.

كما يفضي إلى اختيار الأشد مطلقا، أو ما عليه الأكثر أو نحو ذلك، دون دليل شرعي.

مفهوم مصطلح الأصول

طرح الاصطلاح في المجالات الشرعية -الخاصة- دون تحديد مفهومه من الأمور التي توقع في الزلل وتحدث اللبس، مع أن الواجب هو بيان المقصود منه قبل أن تبنى عليه أي مسألة علمية حتى يظهر الخطأ من الصواب.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وقد قيل أن أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء وأمثالها -مما كثر فيه تنازع الناس بالنفي والاثبات-، إذا فُصِّل فيها الخطاب: ظهر الخطأ من الصواب" الفتاوي 664/7.

ومن هذه المصطلحات: مصطلح الأصول، فكثيرا ما يستدل الناس على جواز الاختلاف في مسائل شرعية بدعوى أنها ليست من الأصول، وإنما هي أمور فرعية لا ضير في اختلاف الفهوم فيها، وإذا بحثت عن مقصود الأصل عندهم تجده هو: كل أمر عقدي، والفرع ما عدا ذلك من المسائل العملية.

وهذا من الخطأ البيِّن لأن مقتضى ما قرروه أن الأمور العقدية لم يقع فيها اختلاف اجتهادي بين السلف وأهل السنة وهذا مجانب للصواب، حيث وقع ذلك -وإن كان الغالب من ذلك متفق عليه بين أهل السنة- كالاختلاف في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الاسراء والمعراج، وسماع الأموات للأحياء...

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وتنازعوا (أي الصحابة) في مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحي، وتعذيب الميت ببكاء أهله، مع بقاء الجماعة والألفة" الفتاوي 123/19.

ومقتضى قولهم -كذلك- أن كل مسألة عملية جائز وقوع الخلاف فيها وهذا باطل أيضا لأن ثمة أمورا من هذا النوع متفق على حكمها كإيجاب الصوم والحج والزكاة وغير ذلك مما جعل شرعا من الأصول التي يبنى عليها غيرها كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان" رواه البخاري ومسلم، فالدين ما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقد بين أصوله وفروعه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "...وهذا كما أن طائفة من أهل الكلام يسمي ما وضعه أصول الدين وهذا اسم عظيم، والمسمى به فيه من فساد الدين ما الله به عليم، فإذا أنكر أهل الحق والسنة ذلك قال المبطل: قد أنكروا أصول الدين وهم لم ينكروا ما يستحق أن يسمى أصول الدين، وإنما أنكروا ما سماه هذا أصول الدين، وهي أسماء سموها هم وآباؤهم بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، فالدين ما شرعه الله ورسوله، وقد بين أصوله وفروعه، ومن المحال أن يكون الرسول قد بين فروع الدين دون أصوله" الفتاوي 56/4.

ولذا فالمفهوم الصحيح لمصطلح الأصل -في هذا المجال الذي نتكلم فيه- هو كل ما يبنى عليه غيره سواء كان من الأمور العقدية أو العملية، فإن كثيرا من مسائل الأحكام قطعيات وهناك من مسائل العقيدة ما هو في حيز الظنيات.

قال الناظم:

فالأصل ما عليه غيره بني
والفرع ما على سواه ينبني

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "والذين فرقوا بين الأصول والفروع لم يذكروا ضابطا يميز بين النوعين، بل تارة يقولون: فهذا قطعي وهذا ظني، وكثير من مسائل الأحكام قطعي، وكثير من مسائل الأصول (أي: العقيدة هنا) ظني عند بعض الناس فإن كون الشيء قطعيا وظنيا أمر إضافي، وتارة يقولون: الأصول هي العلميات الخبريات والفروع العمليات وكثير من العمليات من جحدها كفر، كوجوب الصلاة والزكاة... وتارة يقولون: هذه عقليات، وهذه سمعيات، وإذا كانت عقليات لم يلزم تكفير المخطئ فإن الكفر حكم شرعي يتعلق بالشرع" الفتاوي 126/13.

و من ثم فضابط الأصل كما قرره شيخ الإسلام رحمه الله أنه الأمرالجلي البين الذي لا يقبل الاختلاف، بخلاف الفرع فهو الأمر الخفي الذي تختلف فيه الأفهام وتتعدد الاجتهادات لأنه من الأمور التي تقوم على أدلة ظنية.

قال العلامة ابن أبي الأصبع في معالمه:

والاجتهاد إنمــا يكـــون
في كل ما دليله مظنـــون
أما الذي فيه الدليل القاطع
فهو كما جاء ولا منـازع

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "...الجليل من كل واحد من الصنفين (المسائل العقدية والعملية) مسائل أصول، والدقيق مسائل فروع" الفتاوي 56/6.

العدد 15 . 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

المرأة والتعبُّـد
(بين الاجتهاد والضوابــط)

بقلم: حمّاد القباج

ما أن يَتَفتّق ثغرُ شهر رمضان المعظم عن ابتسامته السنوية الجميلة، مُتمثلةً في ظهور هلاله المبارك، حتى تتحرك هِمَمُ الصالحين من عباد الله للدخول في حَلَبةِ تنافس شريف، يبغون به الوصول إلى الرُّتَب السَّنِيّة، والمنازل ألعَلِيّة عند ربِّ البرية، سبحانه.

ولم تكن المرأة المسلمة في يوم من أيام تاريخ الأمة، بمَعْزِل عن ذلكم التنافس، بعد أن أنقذها دين الله، من أوحالِ عقيدةِ دين محرَّف، وفكر منحرف، زعم أهلهما أن العبادة لا تصح منَ المرأة، وأنها إنما خُلقت لخدمة الرجل!!

بل سجّل التاريخ بفخر وتقدير، تَفَوُّق كثير من النساء، على كثير من الرجال في هذا المجال المبارك...

ولئن حفظت لنا سِيَرُ سلفنا الصالح عليهم الرضوان، مناقب عبد الله بن عمرو رضي الله عنه في ذلك، فقد حفظت أيضا اجتهاد زينب بنت جحش رضي الله عنها:

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو قَالَ: "أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أَقُولُ: لَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ وَلَأَصُومَنَّ النَّهَارَ مَا عِشْتُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "آنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ؟" فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّه".

فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؛ فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ".

قَالَ: قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ".

قَالَ: قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّه. قَالَ: "صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام، وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ".

قَالَ: قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ".(متفق عليه) .

وعَنْ أَنَس قَالَ: "دَخَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا؟"

قَالُوا: لِزَيْنَبَ؛ تُصَلِّي، فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ".

فَقَالَ: "حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ، قَعَدَ" .(متفق عليه).

فهاتان القصتان تُبَيِّنان كيف كان الصحابة رضي الله عنهم -رجالا ونساء- يجتهدون في التعبد، تقربا إلى الله ورغبة فيما عنده من عظيم الأجر، وجزيل الثواب.

وقد أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، مع إرشادهم إلى الاعتدال وعدم الغلو.

وفي التنزيل العزيز تزكية لأهل هذا الهدي، وبيان لفضلهم وثواب عملهم:

قال الله تعالى:{التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}(التوبة 112).

ومعنى السائحون: الصائمون.

وقال سبحانه:{وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً}(الفرقان 64).

وقال تبارك وتعالي :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الحج 77)...

وعن رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ: "كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: "سَلْ".

فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: "أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ".

قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: "فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ" .(رواه مسلم).

فهذه النصوص تَحُثّ على أنواع من التعبد، وتُبَيِّن ما فيها من الأجر والثواب.

لكن ذلك كلُّه مقيَّدٌ بالقدرة وعدم تكليفِ النفس ما لا تطيق، كما يدل على ذلك خبرا عبد الله وزينب السابقان:

وعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ الْحَوْلَاءَ بِنْتَ تُوَيْتٍ مَرَّتْ بِهَا وَعِنْدَهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: "هَذِهِ الْحَوْلَاءُ بِنْتُ تُوَيْتٍ، وَزَعَمُوا أَنَّهَا لَا تَنَامُ اللَّيْلَ".

فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَنَامُ اللَّيْلَ؟! خُذُوا مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَسْأَمُ اللَّهُ حَتَّى تَسْأَمُوا" .(متفق عليه).

كما أن هذا الباب مُقيد بعدم تضييع غيره من حقوق الله تعالى وحقوق عباده، وقد يكون فيها ما هو أولى:

عَنْ عَوْنِ بْن أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيه قَالَ: "آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً.

فَقَالَ لَهَا: "مَا شَأْنُكِ؟!" قَالَتْ: "أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا".

فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ: فَأَكَلَ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ، ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: "قُمْ الْآنَ". فَصَلَّيَا.

فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: "إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا؛ فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ".

فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صَدَقَ سَلْمَانُ" .(رواه البخاري).

وكثرة التعبد؛ ترقٍّ في درجات المستحبات، فلا يستقيم إلا بعد ترك المنهيات وفعل الواجبات.

ومِن أهم ما تُنَبَّه عليه المرأة في هذا السياق، أن لا تُخِلَّ بجانب المعاملة؛ وبعضُ المتعبدين يغتر بما هو عليه من عبادة واجتهاد، حتى يُوَرِّثَه الغرور كِبراً وسوءَ خلق، فلا يتورع عن أذية الناس وظلمهم؛ وهذا من أخطر ما يكون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله! إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدّق، وتؤذي جيرانها بلسانها!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا خير فيها؛ هي من أهل النار" .(رواه أحمد بإسناد صحيح).

.. وعلى المرأة وهي في شِرَّة التعبد، أن تحرص على الأصل العظيم والركن المتين؛ ألا وهو لزوم السنة واجتناب البدعة، وأن لا تتقرب إلى فاطرها سبحانه إلا بما شرع من أنواع التعبد؛ إذ الأمر توقيفي، لا مجال فيه للاجتهاد التشريعي:

عن أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" .(رواه مسلم).

أي: من تقرب بعبادة لم يتقرب بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فتقرُّبه مردود عليه، لا يقبله الله.

بل هو معرض للعقاب؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار" .(رواه مسلم).

فالزمي أيتها العابدة الوارد دون غيره، واعلمي أنك مطالبةٌ بهذا؛ في أصل العبادة، وفي صفاتها، وسائر قيودها:

فكما أنك منهيةٌ عن ابتداعِ صلاةٍ لم يأت بها نصٌ، فإنك منهية عن ابتداع قيدٍ في صلاةٍ مشروعة؛ سواء كان القيدُ في الزمان أو المكان أو العدد..

وهكذا في سائر العبادات من: صيامٍ وحجٍّ وتلاوةٍ وذكرٍ ..إلخ.

وبه يظهر لكِ خطأ مشايخ الصوفية الذين يُشَرِّعون لمُريديهم أذكارا بصفات وقيود لم تثبت بنص، وقد يُلْزِمونهم بها!

فهذا ابتداعٌ في الدين، وتشريعٌ لِمَا لم يأذن به ربّ العالمين.

قال سبحانه :{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(الشورى 21).

وتأملي معي التوجيه الوارد في هذا الأثر من أحد الأئمة الربانيين، الصحابي الجليل أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

عن أَبِي يَحْيَى قَالَ: "كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ.

فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِىُّ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لاَ.

فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعاً، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفاً أَمْراً أَنْكَرْتُهُ..

قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ.. : رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْماً حِلَقاً جُلُوساً يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِى أَيْدِيهِمْ حَصًى، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً.

قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئاً، انْتِظَارَ أَمْرِكَ.

قَالَ: أَفَلاَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ. ثُمَّ مَضَى، حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟!

قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ.

قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلاَءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ -صلى الله عليه وسلم- مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ؛ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحِي بَابِ ضَلاَلَةٍ.

قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الْخَيْرَ. قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْماً يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِى لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ. ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ.

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ" .(رواه الدارمي 210 بسند صحيح).

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

أحكام صيام رمضان المختصة بالمرأة

– صيام رمضانٍ واجب على كل مسلم عاقل بالغ قادر مقيم، خالٍ من الموانع. وعلامةُ البلوغ الخاصة بالمرأة؛ خروج الحيض، وبعض البنات يحضن في سن مبكر، ولا يصمن، ظانات أنهن دون سن التكليف، وهذا خطأ، وعلى من وقعت فيه أن تقضي الأيام التي أفطرتها.

– فخروج دم الحيض والنفاس من المفطرات؛ ولا يجوز للحائض والنفساء أن تصوما بالإجماع:

عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟» .[رواه مسلم .(79)]

– ويجب على المرأة أن تقضي ما أفطرته من الأيام بسبب الحيض أو النفاس، ولا يجوز لها تأخيره إلى ما بعد رمضان التالي:

قالت عائشة: «كان يصيبنا ذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة» .[متفق عليه.]

– فإذا حاضت المرأة في أثناء نهار يوم مِن رمضان فإنها تفطر بذلك، فإذا كانت حائضا ثم طهرت أثناءه فَلا يلزمها الإمساك؛ لأن النهار في حقها غير محترم[1]، ويجب عليها قضاء ذلك اليوم، وإذا طهرت قبل الفجر ثم طلع هذا الأخير وهي لم تغتسل بعدُ، صحَّ صومها كالذي يصبح جُنبا، لكن ينبغي عليها أن تغتسل قبل طلوع الشمس، لتؤدي صلاة الصبح في وقتها.

– والمستحاضة كالطاهرة، تصوم وتصلي، والاستحاضة: دم يخرج من المرأة في غير أوقاته المعتادة، يسيل من العاذل؛ وهو عرق في أدنى الرحم دون قعره.

- أما الإفرازات التي تخرج من المرأة غير المني والمذي، فليست بنجسة، ولا ناقضة للطهارة ولا للصوم؛ والدليل: البراءة الأصلية.

– ويُرَخّص للحامل والمرضع في الفطر لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن الحامل والمرضع الصيام» .[رواه الترمذي (715) وحسنه.]

أي: وضع عنها وجوب الصيام.

- وعليهما الفدية دون القضاء:

لِما ثبت عن عبد الله بن عباس؛ أنه قال لامرأة حامل: «أنت من الذين لا يطيقونه، عليك الجزاء وليس عليك القضاء»[2].

وصح أيضا نحوه عن ابن عمر[3]، ولا يُعلم لهما مخالف من الصحابة.

والفدية: هي أن يطعم المسلم بدل كل يوم أفطره مسكينا، و يقال لها أيضا الجزاء.

ويُشرع للمسلم في ذلك ما ثبت عن أيوب عن أنس: «أنه ضعف عن الصوم عاما، فصنع جفنة من الثريد، ودعا ثلاثين مسكينا فأشبعهم» .[رواه الدار قطني (2/207/16) بسند صحيح].

فيصنع صاحب الفدية طعاما، ويدعو إليه المساكين بقدر الأيام التي عليه.

- والكُحل لا يُفَطِّر عند الجمهور، إذ لا دليل على كونه مفطرا.

وثبت عن أنس رضي الله عنه: «أنه كان يكتحل وهو صائم»[4].

ومِثْل الكحل: قطرة العين، فإنها لا تُفَطِّر، ولو وَجَد الصائمُ طعمَها في حلقه، ومثلهاَ أيضا قطرة الأُذن.

- هل يصح صيام المتبرجة؟

التبرج وترك الحجاب؛ معصية بإجماع العلماء، وقد اختلفوا في حكم من تعمد المعصية وهو صائم؛ فذهب بعضهم إلى أن صومه يفسد بذلك:

قال العلامة ابن حزم: "ويُبطِلُ الصومَ أيضا تعمدُ كلِّ معصيةٍ -أيَّ معصية كانت لا تُحاش شيئًا- إذا فعلها عامدا ذاكرا لصومه"[5].

والجمهور على أنَ صيامه صحيح، لكن لا يؤجر عليه، بل يُحرم الثواب بسبب المعصية.

---

1 وهكذا كل من أفطر بسبب يبيح له الفطر، فلا يلزمه الإمساك بقية اليوم؛ كالمسافر إذا قدم، والمريض إذا شفي.
2 رواه ابن حزم (411/4) والدار قطني (27/2) وصححه.
3 رواه ابن حزم .(411/4)
4- السنن (2378) وقال الألباني: "حسن موقوف".
5- المحلى بالآثار .(304/4)

في رحاب القرآن والحجاب (قبسٌ من سورة النور)

بقلم: حمّاد القباج

قال الله تعالى:{وَقل للمُؤْمنَات يَغضُضْنَ مِنْ أَبصَارهِنَّ وَيَحفَظْنَ فرُوجَهنَّ ولَا يُبْدِينَ زينتَهُنَّ إلَّا مَا ظَهرَ مَنْهَا وَليَضربْنَ بخُمُرهِنَّ عَلَى جُيُوبهنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينتَهُنَّ إلَّا لِبُعولتِهنَّ أَوْ آبَائِهنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهنَّ أَوْ أَبْنَائِهنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهنَّ أَوْ إِخْوَانِهنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهنَّ أَوْ نِسَائِهنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (سورة النور؛ الآية:31).

تفسير قوله تعالى: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)

تفسير النبي صلى الله عليه وسلم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الجارية إذا حاضت لم يصلح أن يرى منها إلا وجهها ويداها إلى المفصل".

[رواه أبو داود في المراسيل (437) وصححه الألباني].

تفسير الصحابة رضي الله عنهم:

قال الصحابي الجليل، ترجمان القرآن؛ عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

"(وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال: "الكف ورقعة الوجه".

[أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (383/3) بسند صحيح]

وقال الصحابي الجليل، مُلازمُ السنة؛ عبد الله بن عمر رضي الله عنه:

"الزينة الظاهرة: الوجه والكفان".

[رواه ابن أبي شيبة (384/3) بإسناد صحيح]

تفسير الإمام الطبري رحمه الله:

قال شيخ المفسرين؛ الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله:

"وقوله: (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) يقول تعالى ذكره: ولا يُظهرن للناس الذين ليسوا لهن بمحرم زينتهنّ وهما زينتان: إحداهما: ما خفي... والأخرى: ما ظهر منها، وذلك مختلف في المعنِيّ منه بهذه الآية...، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: عنى بذلك: الوجه والكفان".

[جامع البيان عن تأويل آي القرآن :(ج 19 / ص:158 - 155)]

تفسير الحنفية:

قال عالِم الحنفية؛ العلامة الطحاوي رحمه الله:

"وقد قيل في قول الله عز وجل: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} أن ذلك المستثنى هو: الوجه والكفان...، وهذا كله قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمة الله عليهم أجمعين".

[شرح معاني الآثار :(ج 3 / ص.16)].

تفسير المالكية:

قال عالِم المالكية؛ العلامة عليش رحمه الله:

".. لِقَوْلِه تَعَالَى:{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} وَذَلِكَ الْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ".

[منح الجليل شرح مختصر خليل :(ج 16 / ص51)] .

وقال عالِم المالكية؛ العلامة القرافي رحمه الله:

"وقوله تعالى: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} يقتضي العفو عن الوجه واليدين..".

[الذخيرة في الفقه المالكي :(ج 2 / ص.105)].

تفسير الشافعية:

قال عالِم الشافعية؛ العلامة الشيرازي رحمه الله:

"وأما الحرة فجميع بدنها عورة إلا الوجه والكفين لقوله تعالى: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا}".

[المهذب مع المجموع: ج 3/ ص.173] .

تفسير الحنابلة:

قال عالِم الحنابلة؛ العلامة ابن قدامة رحمه الله:

"وَقَالَ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ: جَمِيعُ الْمَرْأَةِ عَوْرَةٌ إلَّا وَجْهَهَا وَكَفَّيْهَا؛ لِأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ فِي قَوْله تَعَالَى:{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} قَالَ: الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ".

[المغني: ج3/ ص.53] .

تفسير الظاهرية:

قال عالِم الظاهرية؛ العلامة ابن حزم رحمه الله:

"{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} الآية؛ فذكر الله عز وجل في هذه الآية زينةً ظاهرة تبدى لكل واحد؛ وهي الوجه والكفان على ما بَيّنّا".

[المحلى بالآثار: (ج 10 / ص32)].

تفسير العلماء المتأخرين:

قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور؛ مفتي تونس وكبير علمائها (م 1284 هـ) رحمه الله:

"فمعنى {ما ظهر منها}: ما كان موضعه مما لا تستره المرأة؛ وهو الوجه والكفان".

[التحرير والتنوير: (ج 9/ ص470)].

تفسير العلماء المعاصرين:

قال العلامة الإمام محمد ناصر الدين الألباني؛ شيخ المحدثين في زمانه (م 1420 هـ)، رحمه الله:

"ومما تقدم بيانه، يتضح ثبوت الشرط الأول في لباس المرأة إذا خرجت؛ ألا وهو أن يستر جميع بدنها إلا وجهها وكفيها".

[جلباب المرأة المسلمة :(ج 1 / ص114)].

خلاصة:

أجمع علماء الإسلام أن سِتر المرأةِ لبدنها أمام الأجانبِ واجبٌ إلا وجهها وكفّيها، ومن العلماء من ذهب إلى وجوب سترهما أيضا؛ وهو رواية في المذهب الحنبلي، واختاره طائفة من المفسرين، وذهب إليه جمع من المعاصرين؛ كالعلامة الإمام محمد بن عثيمين..رحم الله الجميع.

وليس لعلماء الإسلام -أجمعين أكتعين أبصعين- في تفسير هذه الآية الكريمة قول غير هذين القولين، إلا قولا شاذا يبيح كشف القدمين.

فهل يَحِلّ بعد هذا لِعاقل -فضلا عن مؤمن- أن يَدّعِي بأن الحجاب ليس من الإِسلام؟!!!

وهل يُعقل أن يَدّعِي أحد؛ أن القرآن ليس فيه ما يدل على وجوب الحجاب على المسلمة؟!!!!!

هذا لا يصدر إلا من سفسطائي، أو جاحد يُكابر لغرضٍ في نفسه:

تعالم العَلمانيين:

قال المستغرب قاسم أمين...: قال المستشار العشماوي.. : قالت النصرانية روزا اليوسف.. :قالت الرُّوَيْبِضَة إلهام مانع!!!..

[صحيفة الأحداث المغربية]!!

وهذا ما سنتناوله في العدد القادم إن شاء الله ..

التثبت والتبين

رشيد مومن الإدريسي

أنكر الله جل وعلا على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها وقد لا يكون لها حقيقة فقال تعالى: "وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً".

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية: "فيها انكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها وقد لا يكون لها صحة".

ومن ثم فمن الغلط الفاحش البين الخطر قبول قول الناس بعضهم في بعض دون تحرٍّ في النقل معتمدين على الشائعات بلا تحرز من ذلك.

فالواجب إذن على العاقل أن يتثبت وأن يتبين حتى ينكشف له الأمر ويظهر، فبذلك يعرف دين المرء ورزانته وعقله.

قال الحسن البصري رحمه الله: "المؤمن وقاف حتى يتبين" الفتاوي 382/10.

وقال الشوكاني رحمه الله: "ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد، حتى يتضح ويظهر" فتح القدير 20/5.

وقد قرر الله جل وعلا قاعدة التثبت والتبين في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ".

قال السعدي رحمه الله عند تفسيره للآية: "وهذا أيضًا، من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصُدق، وإن دلت على كذبه كُذب ولم يعمل به، ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا".اهـ

وليعلم أن قاعدة التبين قائمة على أسس ثلاثة:

أولا: التثبت من الناقل وهذا بدوره راجع إلى أمور ثلاثة:

أ ـ النظر إلى طويته وقصده، ولذلك آثار على ظاهره كما بينه شيخ الإسلام رحمه الله في منهاج السنة النبوية.

فالنظر في الطوية أمر أساس في التثبت في خصوص الناقل لما قد يكون بين الناقل والمنقول عنه عداء أو حسد أو ما أشبه، مما يدفع إلى الذم والقدح.

ب ـ التأكد من ضبط الناقل، فقد يكون المرء عدلا في نفسه لكنه لا يضبط الأخبار ولذلك جاء عن جمع من السلف أنهم يستسقون بأناس ولا يأخذون عنهم خبرا.

قال الخطيب رحمه الله في الكفاية 158/1، باب ترك الاحتجاج بمن لم يكن من أهل الضبط والدراية وإن عرف بالصلاح والعبادة. اهـ، ثم ذكر تحت هذا الباب جملة من الآثار، من ذلك عن أبي الزناد عن أبيه قال: "أدركت بالمدينة كذا وكذا شيخا كلهم ثقة وكلهم لا يؤخذ عنهم الحديث".

ج ـ التأكد من عدالة الناقل لأن الفاسق لا يقبل خبره.

قال العلامة ابن العربي رحمه الله في أحكام القرآن 1715/4 عند تفسيره لآية الحجرات: "... المسألة الثانية: من ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعا لأن الخبر أمانة، والفسق قرينة تبطلها".

ثانيا: التثبت من المنقول فيه وعنه بمراعاة أصل طريقته وسيرته فيما إذا نقل عنه كلام محتمل.

قال ابن القيم رحمه الله: "والكلمة الواحدة يقولها اثنان يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحق والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه وما يدعو إليه ويناظر عنه". المدارج 521/3.

مثال ذلك قول الذهبي رحمه الله: "روى أبو داود عن أحمد قال :أصحاب الحديث إذا شاؤوا احتجوا بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وإذا شاؤوا تركوه.

قلت (أي الذهبي): هذا محمول على أنهم يترددون في الاحتجاج به لا أنهم يفعلون ذلك على سبيل التشهي" السير 168/5.

ثالثا: التثبت في الكلام المنقول وذلك بمراعاة أمور منها:

أ ـ التفريق بين ضبط الخبر ونقله بالمعنى، يقول ابن تيمية رحمه الله:"وكثير من الناقلين ليس قصده الكذب لكن المعرفة بحقيقة أقوال الناس من غير نقل ألفاظهم وسائر ما به يعرف مرادهم قد يتعسر على بعض الناس ويتعذر على بعضهم" منهاج السنة 303/6.

ب ـ التحقق من الكلام المنقول هل هو من الذي يذم به المرء أو يمدح.

عقد الخطيب رحمه الله في الكفاية بابا في "بعض أخبار من استفسر في الجرح فذكر ما لا يصلح جارحا" منها: عن شعبة أنه قيل له: لم تركت حديث فلان؟ فقال: رأيته يركب على برذون فتركت حديثه!!

ج ـ مراعاة الكلام العرفي.

قال السبكي رحمه الله: "والخبرة بمدلولات الألفاظ ولا سيما العرفية التي تختلف باختلاف أعراف الناس وتكون في بعض الأزمنة مدحا، وفي بعضها ذما أمر شديد لا يعلمه إلا قعيد بالعلم" قاعدة في الجرح والتعديل.

د ـ مراعاة سابق الكلام ولاحقه.

يقول السعدي رحمه الله مقررا ذلك: "وهذا الأصل واضح معلوم من لغة العرب وغيرها ومن العرف بين الناس، ولو لم يعتبر ما قيد به الكلام لفسدت المخاطبات وتغيرت الأحكام... فكذلك نعتبر ذلك في كلام الناس ونحكم عليهم بما نطقوا به من إطلاق وعموم ومن قيود وتخصيصات" القواعد والأصول الجامعة 62-63.

ز ـ مراعاة أن لازم المذهب ليس بمذهب.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "لازم المذهب ليس بمذهب إلا أن يستلزمه صاحب المذهب" الفتاوي 306/5، قلت: أو دلت على ذلك قرائن قوية.

من مصابيح السبيل

أصناف طلاب العلم

قال عون بن عمارة سمعت هشاما الدستوائي يقول:"والله ما أستطيع أن أقول أني ذهبت يوما قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عز وجل" . قلت (أي الذهبي): والله ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولا لا لله وحصلوه ثم استفاقوا وحاسبوا أنفسهم فجَرَّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق. كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعدُ، وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، فهذا أيضا حسن. ثم نشروه بنية صالحة، وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا وليثنى عليهم فلهم ما نووا، قال عليه السلام "من غزا ينوي عقالا فله ما نوى".

وترى هذا الضرب لم يستضيؤوا بنور العلم ولا لهم وقع في النفوس ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى، وقوم نالوا العلم وولوا به المناصب فظلموا وتركوا التقيد بالعلم وركبوا الكبائر والفواحش فتبًا لهم فما هؤلاء بعلماء، وبعضهم لم يتق الله في علمه بل ركب الحيل وأفتى بالرخص وروى الشاذ من الأخبار، وبعضهم اجترأ على الله ووضع الأحاديث فهتكه الله وذهب علمه وصار زاده إلى النار، وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئا كبيرا وتضلعوا منه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بان نقصهم في العلم والعمل، وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله لأنهم ما رأوا شيخا يقتدى به في العلم، فصاروا همجا رعاعا غاية المدرس منهم أن يحصل كتبا مثمنة يخزنها وينظر فيها يوما ما فيصحف ما يورده ولا يقرره، فنسأل الله النجاة والعفو كما قال بعضهم: ما أنا عالم ولا رأيت عالما.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

العدد 15 ـ 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

"وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا" النساء:36.

أعظم ما أمر الله به عبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ".

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: "شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود" 541.

وأعظم ما نهى الله جل وعلا عنه الشرك وهو دعوة غيره معه وأن تجعل لله ندا في العبادة وهو خلقك.

عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم: "أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك" رواه البخاري.

قال تعال: "وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا".

فقوله سبحانه: "وَاعْبُدُواْ اللّهَ" يعني وحدوه وأطيعوه "وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا" أخلصوا له في العبادة، ولا تجعلوا له في الربوبية والإلهية شريكا، لأن من عبد مع الله غيره أو أراد بعمله غير الله فقد أشرك به، ولا يكون مخلصا.

روى البخاري ومسلم عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال: "كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار، فقال: "يا معاذ! هل تدري ما حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا"

قال الناظم:

وأعظم الذي أراد الله	توحيده فمن أبى قلاه
ووصفه الإفراد بالعباده	فقم به لتكرم الزياده
وعكسه الشرك بلا تردد	ومن وعى مقالتي فقد هدي
دليله بسورة النساء	وخل حتما مكمن البلاء

اليقين والثقة بنصر الله

تظهر حقيقة اليقين بالله في مراحل الضعف، إذ ليس صاحب اليقين من تنفرج أساريره وينشرح صدره ويتهلل وجهه، حين يرى قوة الإسلام وعزة أهله وبشائر نصره، وإنما يكون اليقين لصاحب الثقة بالله مهما حلك الظلام، واشتد الضيق، واجتمعت الكروب، وتكالبت الأمم، لأن أمله بالله كبير ويقينه بأن العاقبة للمتقين، وأن المستقبل لهذا الدين.

قال ابن القيم رحمه الله: "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، ثم تلا قوله تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)" تهذيب المدارج 352.

وأهم ما يؤتاه المرء اليقين، كما في الحديث: "وسلوا الله اليقين والمعافاة، فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة" صحيح الجامع.

ولا تهلك هذه الأمة إلا حين يبخل أبناؤها بتقديم الجهود لنصرتها مع انعدام الزهد واليقين، ويتجرعون كؤوس الأمل بلا عمل.

قال صلى الله عليه وسلم: "**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**" صحيح الجامع.

ولأن الله وحده هو عالم الغيب فلا ندري متى النصر؟ ولا نعلم أين الخير؟ ولكن الذي نعلمه أن أمتنا أمة خير يرجى لها النصر من الله -ولوبعد حين- ويشير رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى ذلك بقوله: "**مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره**" صحيح الجامع، ولا ندري على يد أي جيل يكشف الله الغمة، ويرفع شأن هذه الأمة، ولكن الذي ندريه أن سنة الله في الكون كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة**" صحيح الجامع.

ولقد جاءت بشائر كثيرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدد الأمل وتحقق اليقين، منها وعد الله بأن يبلغ ملك الأمة المشارق والمغارب كما في الحديث: "**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**" رواه مسلم.

فإذا عرفنا أن الأصل في الإسلام العلو والسيادة والتمكين فلا نستيئس من ضعف المسلمين وظهور أهل الباطل حينا من الدهر، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**الإسلام يعلو ولا يُعلا**" صحيح الجامع.

وقال ابن القيم رحمه الله: "**فمن كان قيامه في باطل لم ينصر، وإن نُصر نصرا عارضا فلا عاقبة له وهو مذموم مخذول**" إعلام الموقعين 178/2.

وقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببشريات تذيب كل يأس، وتدفع كل قنوط، وتريح قلوب كل فاقد للأمل من أبناء هذا الدين وتثبت اليقين، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "**بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض..**" صحيح الجامع.

وليُعلم أن المقياس عند الله غير مقياس البشر إذ الله جل وعلا يجعل من الضعف قوة وذلك واضح من قوله صلى الله عليه وسلم: "**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفائها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**" صحيح سنن النسائي.

فلا بد إذن من الليل أن ينجلي، ولا بد للغثاء أن يذهب جفاء، ولا بد لما ينفع الناس أن يمكث في الأرض، ويمضي قدر رب العالمين في أن تكون العاقبة للمتقين الموقنين.

مراعاة فهم السلف الصالح وعملهم

صحابة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أعلم الناس بأصول الدين فهم الأفقه بالعربية ومدلولاتها إضافة إلى معايشتهم عصر التنزيل، وتلقيهم ذلك عن أعلم الخلق بالله على الإطلاق نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم، حتى كانوا إذا استشكلوا شيئا سألوه عنه، وكان يجيبهم بما يزيل الإشكال ويبين الصواب، فهم العارفون -رضوان الله عليهم- ومن تبع طريقتهم من السلف الصالح بأصول الدين حقا، لا أهل البدع والأهواء من المتكلمين ومن سلك سبيلهم.

ومن ثم فمن ضوابط القول في الشريعة أن ينظر الناظر في مَن سبقه بما يقول وهل له في ذلك سلف من الصحابة والأئمة والفقهاء المعتد بهم.

قال الإمام أحمد رحمه الله: "**إياك أن تقول كلمة ليس لك فيها إمام**" رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد 231.

ولأجل هذا كان السلف والأئمة يكتفون بالرواية والآثار في العلم.

قال سفيان الثوري رحمه الله: "**إنما العلم كله بالآثار**" أخرجه ابن عبد البر في جامعه 34/2، في آخرين.

وقال الإمام مالك رحمه الله: "لم يكن من فتيا الناس أن يقال: لِمَ قلت هذا؟ كانوا يكتفون بالرواية ويرضون بها" رواه البيهقي في المدخل 237.

فمن رأى من نفسه الشذوذ والإنفراد فليتوقع أنه جانب الصواب، وإذا رأى أنه موافق لأهل العلم فتلك علامة التوفيق والسداد.

قال الشاطبي رحمه الله: "**فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل**" الموافقات 77/3.

فالاقبال -إذن- على علم السلف الصالح وعملهم، ومراعاة فهمهم، والسير على نهجهم وطريقة استدلالهم هو صمام الأمان إلى الحق، ومجانبة البدعة والهوى والضلال.

عن ابن المسيب رحمه الله أنه سئل عن شيء فقال: اختلف فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أرى لي معهم قولا.

قال ابن وضاح رحمه الله معلقا: هذا هو الحق.

وقال الحافظ ابن عبد البر عقبه: معناه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم به. جامع بيان العلم 29/2.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك، بل مبتدعا، وإن كان مجتهدا مغفورا له خطؤه.

والمقصود بيان طرق العلم وأدلته، وطرق الصواب، ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا" مقدمة في أصول التفسير 81.

وقال ابن القيم رحمه الله: "إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ، ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف" مختصر الصواعق المرسلة 128/2.

لماذا اخترنا الملف؟

إن أي مشروع تعليمي لأي بلد ما تتقاذفه التوجهات التي تحاول ما أمكن تصريف مواقفها من خلال التحكم في مستقبل البلد الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي، وما شاكل ذلك، تبدأ الدورة عبر التمكن من ترسيخ نمط تعليمي معين، ومحدد وبالإطلاع على النظام التعليمي لأي بلد يمكنك أن تحدد مستقبله على مدى 15 أو 20 سنة.

فإذا كان التعليم والتربية يضطلعان بهذا الدور الخطير والحاسم في ترسيخ القيم والخصوصيات الحضارية للشعوب، فإن الاستعمار في العالم العربي والإسلامي سعى بكل الوسائل إلى تغيير بنية التعليم والتربية كجزء من مخطط واسع للفصل بين الإنسان ومقوماته الحضارية بهذه الدول.

المغرب كباقي دول العالم العربي والإسلامي شهد، وما يزال يشهد هزات عنيفة في مجال التعليم سميت كل مرة بـ(مشروع إصلاح التعليم)، وفي مشاريع إنما كانت تحاول بالأساس مسخ هويته الإسلامية، واستئصال لغته العربية.

وقد اتسمت في عموها بأمرين: ترسيخ الفرنكوفونية، وإضعاف الطابع الإسلامي لكل برامجه ومواده، فكان أن انقدح عن هذين الأمرين معارك عديدة منها معركة التعريب التي شهدتها الساحة المغربية منذ أوائل عهد الاستقلال إلى اليوم، ومعركة مادة التربية الإسلامية، وكل ما له صلة بالدين في التعليم، هذه المعركة التي ما تزال أدخنة وطيسها تملأ أفق الساحة المغربية إلى الآن.

واليوم يشهد المغرب مشروع ما سمي بـإصلاح التعليم على مستوى الوزارتين: وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وباتفاق كثير من الخبراء تعتبر هذه المعركة هي الأخطر من نوعها على مستقبل التعليم في المغرب منذ عهد الاستقلال إلى اليوم.

إن إصلاح مناهج التعليم منذ بداية الاستقلال إلى الآن كانت توكل إلى أشخاص بعينهم خبراء في المجال التربوي، يعتكفون في معتكفات خاصة، فتعمد الدولة على خبرتهم وتجربتهم لإنجاز برامج ومناهج يمكنها أن تلبي حاجة المغرب المتزايدة في هذا المجال، لكن إعادة النظر اليوم بشكل جذري في برامج ومناهج التعليم بمحاولة إشراك فئات واسعة من خبراء مغاربة في هذا المجال هو أمر يحدث لأول مرة بهذا الشكل، ولذلك قد تعتبرها محطة مهمة جدا لمحاولة ترسيخ وهيمنة النظرة التربوية الإسلامية للتعليم، كما قد يعتبرها غيرنا محطة مهمة جدا لترسيخ وهيمنة التصور الأيديولوجية والسياسة الموجودة عندنا في المغرب، ونظرا لطبيعة الحكومة التي تسيِّر المغرب الآن؛ فمن الطبيعي أن يكون هناك صراع مواقع؛ لأن التحكم في النظام التعليمي، ومحاولة ترسيخ نمط معين في بداية الألفية الثالثة سيحكم مستقبل المغرب لعشرين أو ثلاثين سنة قادمة! لذلك لا عجب ولا غرابة في أن نرى هذا الصراع الكبير جدا المتعلق بإعادة النظر في البرامج والمناهج.

من هذا المنطلق ارتأت جريدة السبيل فتح ملف يعنى بهذا الأمر.

الهدف الحقيقي من التعليم

الملف من إعداد: نبيل غزال

يعاني التعليم في غالبية الدول العربية من تدهور كبير وعجز يميل إلى الشلل، وثمة انفصاما كبيرا بين ما يتلقاه الطالب طوال سنين دراسته وبين ما يعيشه في حياته أو تتطلبه ميادين العمل، فتجده يحشو دماغه بركام من المعلومات التي لا يفهمها غالبا، ليستظهرها يوم الامتحان أو يستعين بما يحضره من وسائل الغش، ثم بعد ذلك يرمي بهذه المعلومات وراءه ليستقبل شحنة جديدة في العام الذي يلي، وهكذا دواليك .

وعندما ينهي دراسته ويحصل على الشهادة يحس بنفسه وكأن عقله عبارة عن قارورة مثقوبة من الأسفل كلما ملأها من فوق أفرغت من تحت.

إن التركيز الكبير للطلاب والآباء على حد سواء، يكون على هدف واحد وهو الحصول على الشهادة ثم الانتقال إلى سوق العمل، لكن الخريجين يصدمون بالواقع عند حصولهم على تلك الشهادة لأنهم تلقوا تعليما يركز على المعلومات النظرية، ومفتقرا للتطبيق العملي، وهذا هو العلم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع".

علينا أن نزرع في النشء فكرة تحديد الهدف من التعليم وإصلاح النية، لتتحول من مجرد الدراسة للحصول على الشهادة إلى هدف أسمى وهو إعداد إنسان صالح يقوم بحق الله وحق نفسه، ويعي حقوق أسرته و مجتمعه، ويأمنه الناس على أنفسهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم.

هل كان الواحد من علماء الأمة الذين تركوا بصماتهم في التاريخ واضطر الغرب إلى الأخذ عنهم وترجمة نتاجهم، يبحث عن علم ليحصل به على شهادة أو يتابع دراسته ليحصل على وظيفة؟

كانوا يتعلمون شؤون الحياة ويبرمجون أنفسهم لبلوغ الأهداف التي تاقت إليها هممهم العالية،عوض انتظار فرصة عمل قد لا يجدونها إلا بشق الأنفس، وإذا وجدوها قد لا يحسنون القيام بها، لأن دراستهم في واد ومتطلبات سوق العمل في واد آخر، وفي هذا الشأن يقول أحد المتخصصين في التربية: "المسألة أيها الأب الحنون ليست مسألة نجاح أو رسوب في الدراسة فحسب، بقدر ما هي مسألة نجاح أو رسوب في الحياة.. و مع وجود المَلَل وقلة فرص العمل، اتجه الشباب في ملأ أوقات فراغهم إلى اتباع شهواتهم وتعويض نقصهم بالأغاني الماجنة والأفلام الخادعة تعبيراً عن تمردهم على واقعهم المأسوي".

إنا لا نقصد بما سبق ذكره تثبيط الشباب وصرفهم عن البحث عن العمل، فما أحوجنا للطبيب الناجح وللمهندس المتفوق وللإعلامي والإداري البارع، لكن ما أقصده هو ألا يكون التعليم مجرد وسيلة لإدراك الوظيفة.

فمن المؤسف أن يكون ميزان تقييم المتعلم هو ما يحمل عقله من معلومات مفيدة وغير مفيدة وتعويده على الاستظهار من غير فهم، ولذلك قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: "العلم كثير فخذوا من كل شيء أحسنه"، وقال بن عباس رضي الله عنهما: "العلم كثير فارعوا أحسنه".

إن عصرنا هذا فيه وسائل يمكنها حفظ ملايين المعلومات، ولكن لا يقول عاقل بأنها عالمة، وليس لها حول ولا قوة، فالتعليم النافع هو الذي يخدم الإنسان في دنياه وآخرته، ويمكنه من تحقيق الخير والصلاح لدينه ووطنه ولأبناء مجتمعه.

فالعمر قصير وعلى الإنسان عموما والطالب خصوصا أن يمتلك فن معرفة الأولويات واتخاذ الأهم فالأهم، وأن يربي في نفسه روح الإبداع والابتكار لا مجرد التلقي والاستظهار، إن السلبية التي تربت فينا بسبب أنظمتنا التعليمية، هي التي كبلت عقولنا عن الإبداع، والنتيجة هي غياب البحث العلمي والاعتماد على الاستيراد من الغرب ومن تم الرضى بالتخلف والنكوص.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

الاختلاط في التعليم مفاسده الأخلاقية وأضراره التربوية

من قواعد الشرع المطهر أن الله سبحانه وتعالى إذا حرم شيئًا حرم الأسباب والطرق والوسائل المفضية إليه! تحقيقًا لتحريمه، ومنعًا من الوصول إليه أو القرب من حماه، والوقاية خير من اكتساب الإثم والوقوع في آثاره المضرة بالفرد والجماعة، ولو حرم الله أمرًا وأبيحت الوسائل الموصلة إليه لكان ذلك نقضًا للتحريم، وحاشا شريعة رب العالمين من ذلك.

وفاحشة الزنا من أعظم الفواحش وأقبحها، وأشدها خطرًا وضررًا وعاقبة على ضروريات الدين، ولهذا صار تحريم الزنا معلومًا من الدين بالضرورة، قال العليم الخبير: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا" (الإسراء)، يقول العلامة السعدي رحمه الله: "والنهي عن قربان الزنا أبلغ من النهي عن مجرد فعله! لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه! فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه" (تيسير الكريم الرحمن).

لقد حرم الإسلام جميع الأسباب والطرق، وكل الدواعي والمقدمات التي تؤدي للوقوع في الفاحشة، ومن أعظم تلك المقدمات وأخطرها: اختلاط النساء بالرجال، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا" (الطرق الحكمية)، وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: "إن الله تعالى جبل الرجال على القوة والميل إلى النساء، وجبل النساء على الميل إلى الرجال مع وجود ضعف ولين، فإذا حصل الاختلاط نشأ عن ذلك آثار تؤدي إلى حصول الغرض السيء، لأن النفوس أمارة بالسوء، والهوى يعمي ويصم، والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر". (فتاوى الخلوة والاختلاط).

إن من حرص الشارع الحكيم على التباعد بين الرجال والنساء وعدم الاختلاط بينهم، أن رغب في ذلك حتى في أماكن العبادة كالصلاة التي يشعر المصلي فيها بأنه بين يدي ربه بعيدًا عما يتعلق بالدنيا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها" (مسلم)، قال الإمام النووي رحمه الله: "وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن عن مخالطة الرجال وذم أول صفوفهن لعكس ذلك" (شرح صحيح مسلم).

إن جذور الاختلاط في التعليم بين الجنسين في الدول الإسلامية ترجع لقدوم المدارس والجامعات الأجنبية التنصيرية إلى بعض بلادنا، والتي ما لبثت مع مرور الزمان أن تحولت إلى مدارس وجامعات مختلطة بين الطلاب والطالبات بعد أن كانت غير مختلطة في بداية إنشائها، ثم كانت الدعوة لاختلاط الجنسين في المدارس والجامعات على أيدي العلمانيين ممن افتتنوا بما لدى الغرب من تقدم علمي، فظنوا أن هذا من آثار الاختلاط فرفعوا راياتهم منادين ومدافعين عنه.

وقد كانت حجتهم كالعادة هي: تحقيق المساواة بين الذكور والإناث وتحرير المرأة، بدعوى أنها مضطهدة، إلا أنه مع مرور السنين لاحظ الغرب أنفسهم أن نتائج هذه التجربة لم تكن في مصلحتهم حيث أصبحت مؤسساتهم التعليمية وكرا للاغتصاب والفحش والاستغلال والتحرش الجنسي.

وبالنظر إلى موقفهم المعلوم اتجاه الإسلام والمسلمين فقد حاولوا نقل هذا الداء إلينا عن طريق الطابور الخامس "العلمانيين" للقضاء على ما تبقى لدينا من قيم وأخلاق، فاستعملوا في حملتهم شعار مساعدة الدول الفقيرة والنامية وحقوق الإنسان، وحق التمدرس وتعميمه..

إن الحق يعلو ولا يعلى عليه، فبينما يدافع بعض بني جلدتنا عن الاختلاط في التعليم، نجد العديد من الأصوات الغربية التي ترفضه وتقول كلمة الحق التي أخفاها بنو علمان، فالغرب الذي بدأ بالاختلاط في التعليم هو الذي يشكو منه اليوم وينادي برفعه، فمتى نستيقظ من سكرة اتباع الغرب؟

ففي الولايات المتحدة الأمريكية ينادي الرئيس "بوش"وبعض الشخصيات الديمقراطية و"هيلاري كلينتون" بمنع الاختلاط في التعليم.

أعلنت إدارة الرئيس الأمريكي "جورج بوش" أنها ستمنح المدارس العامة الحكومية والخاصة حق عدم الاختلاط بين الجنسين في المدارس، لتوفير خيارات تعليمية متنوعة وتلبية للاحتياجات التربوية. ووافق الكونجرس الأمريكي على هذه الخطوة وأعطى توجيهات إلى وزير التربية والتعليم "رود بيج" ببحث سبل توسيع نطاق



الخيارات المتاحة أمام زيادة عدد الفصول التي يتم من خلالها تطبيق عدم الاختلاط بين الجنسين. وكانت قد تقدمت بهذا المشروع السيناتور الديمقراطي "هيلاري كلينتون"وزميلتها الجمهورية "كاي بيلي هوتشون"، وقالت الأخيرة إن نظام عدم الاختلاط موجود في المدارس الخاصة منذ عدة سنوات وحان الوقت لتعميم هذا النظام على المدارس الحكومية العامة.

سبحان الله! يتراجع الغرب "المتقدم المتمدن!" شيئا فشيئا عن الإختلاط ويأبى الظلاميون العلمانيون في بلادنا إلا استكبارا وعنادا.

تقول بولين ديلابيني: "إن مناقشة مسألة الاختلاط عندنا في فرنسا تدخل في حيز المسكوت عنه كما أعلنت جريدة "ماري كلير"، فلماذا تأخرنا إلى نهاية القرن العشرين لمناقشة هذه المسألة في حين أن دول أخرى انفتحت عليها بشكل ملحوظ، لأن كل الدراسات تؤكد أن الاختلاط ليس في مصلحة البنات، إذ أنهن أقل ثقة من الذكور الذين يتعرضون لهم بالاستهزاء، ولأن المدرسين وعن غير قصد يولون أهمية أكبر للذكور خصوصا في العلوم، وقد توصلت لهذه النتائج دول مثل ألمانيا والسويد وإسبانيا وإنجلترا، وتلقى المدارس الخاصة بالبنات اهتماما خاصا في بريطانيا من طرف الآباء لأنهم لاحظوا أن التلميذات اللاتي يدرسن فيها يحصلن على نتائج جيدة في الباكالوريا.

وجربت ألمانيا الفصل في بعض المواد كالتربية الجنسية للذكور لتتيح لهم التعبير بارتياح ثم الإعلاميات عند الإناث، وباختصار فإن السماح بالاختلاط لتحقيق المساواة بين الجنسين حقق نتائجا عكسية لأن مظاهر اللامساواة لاتزال قائمة".

ويطرح "ميشيل فايز" أخصائي علم الاجتماع في كتابه "فخاخ التعليم المختلط"، أسئلة من بينها: كيف ننقذ البنات من الاغتصابات في المدارس؟ كيف نحمي الأولاد من التدني المستمر في نتائجهم الدراسية بسبب الاختلاط؟

ويرى أن الحل هوالتخلص من الاختلاط في المدارس بين الجنسين ويدافع هذا الباحث عن هذا الرأي بشدة مما أدى إلى اشتهاره بهذا الموقف.

الآثار السلبية للاختلاط

تعاني جل الدول من الآثار السلبية للاختلاط سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية، ويمكن أن نوجز أهم تلك الآثار السلبية للاختلاط في النقاط الآتية:

1- ارتكاب الفواحش، وفعل القبائح: في دراسة أجرتها النقابة القومية للمدرسين البريطانيين أكدت فيها أن التعليم المختلط أدى إلى انتشار ظاهرة التلميذات الحوامل سفاحًا وأعمارهن أقل من ستة عشر عامًا، كما أثبتت الدراسة تزايد معدل الجرائم الجنسية والاعتداء على الفتيات بنسب كبيرة (الغرب يتراجع عن الاختلاط، بفرلي شو)، وفي أمريكا بلغت نسبة التلميذات الحوامل سفاحًا 48 % من تلميذات إحدى المدارس الثانوية (المرأة المسلمة، وهبي غاوجي).

هذه هي ثمار التعليم المختلط الزنا بالرضا أو الإكراه، ثم الحمل منه، ثم الإجهاض أو ولادة الأطفال اللقطاء، ثم الانحرافات السلوكية لهؤلاء الأطفال، ثم الجرائم العدوانية لهم كبارًا، وهكذا في سلسلة طويلة من المشاكل الأخلاقية، والأخطار الأمنية التي تكلف المجتمع كثيرًا.

2- انخفاض مستوى الذكاء: تبين من خلال مجموعة من الدراسات والأبحاث الميدانية التي أجريت في كل من مدارس ألمانيا وبريطانيا انخفاض مستوى ذكاء الطلاب في المدارس المختلطة، واستمرار تدهور هذا المستوى وعلى العكس من ذلك تبين أن مدارس الجنس الواحد (غير المختلطة) يرتفع الذكاء بين طلابها (الغرب يتراجع عن التعليم المختلط).

3- ضعف الإبداع ومحدودية المواهب: في دراسة أجراها معهد أبحاث علم النفس الاجتماعي في "بون" بألمانيا تبين منها: أن تلاميذ وتلميذات المدارس المختلطة لا يتمتعون بقدرات إبداعية، وهم محدودو المواهب، قليلو الهوايات، وأنه على العكس من ذلك تبرز محاولات الإبداع واضحة بين تلاميذ مدارس الجنس الواحد (غير المختلطة) (المصدر السابق)، والسبب في ذلك انشغال كل جنس بالآخر عن الإبداع والابتكار.

4- إعاقة التفوق الدراسي: لاحظ المختصون التربويون أن الاختلاط بين الطلاب والطالبات في المدارس يعوق التفوق الدراسي! فعمدوا إلى فصلهم في عدد من المدارس كتجربة، فماذا كانت النتيجة؟

كشفت النتيجة أن البنين عندما يتم فصلهم عن البنات.. يحققون نتائج أفضل في شهادة الثانوية، وأثبتت التجربة الفعلية والنتائج التي أسفرت عنها: أن عدد البنين الذين نالوا درجات مرتفعة تزايد أربع مرات على ما كان سيكون عليه الحال لو أن الفصل كان مختلطًا (المعرفة).

وقد أظهرت دراسة بمعهد "كيل" بألمانيا أنه عندما حدث انفصال .. كانت البنات أكثر انتباهاً، وأصبحت درجاتهن أفضل كثيرًا.

5- قتل روح المنافسة: ذكرت الدكتورة "كارلس شوستر" خبيرة التربية الألمانية أن توحد نوع الجنس في المدارس يؤدي إلى استعلاء روح المنافسة بين التلاميذ أما الاختلاط فيلغي هذا الدافع .(الغرب يتراجع عن التعليم المختلط).

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

الجامعات والمدارس الأجنبية واندثار الهوية والوحدة الثقافية

تتمتع ظاهرة إنشاء الجامعات والمعاهد الأجنبية بالمغرب بامتياز خاص من الدولة، حيث تعتمد مقررات فرنسية أو أمريكية، ونرى أن الأعيان من النخبة الفرنكوفونية يتسابقون لتسجيل أبنائهم بها، بعضهم يراها إيجابية، باعتبار أنها نوع من الإثراء والتنويع الثقافي، بينما يرى آخرون أنها تهدد هوية المغرب ووحدته الثقافية.

أي بلد يطمح أن يرسم سياسة تعليمية مستقلة، لا بد له أن يعتمد على موارده الذاتية، حتى يكون له استقلال في اتخاذ القرار، وفي بناء نظام تعليمي غير مستورد، لكن جل بلدان العالم الثالث مع الأسف لا تملك من المؤهلات البشرية ومن الموارد المادية ما يمكنها من بناء نظام تعليمي مستقل، لذلك فهي تفتح أبوابها لدعم الأجنبي. شيء طبيعي إذن، أن دعم الأجنبي لا بد أن يكون مشروطاً بمجموعة من الضرائب المعنوية.

ففي المغرب مثلاً يتجلى هذا في النظام التعليمي، في تعدد الأنساق التعليمية على الصعيد الوطني، فليس لدينا نسق تعليمي واحد، صحيح أنه يوجد لدينا في المغرب مؤسسات ثانوية، وأساسية أجنبية فرنسية بوجه خاص، ولكن الأخطر من ذلك هو اعتماد مناهج تعليم فرنسية في المدارس المغربية، بحيث إن رياض الأطفال الآن في المدن الكبرى: فاس والرباط والدار البيضاء ومراكش.. مثلاً، تعتمد اللغات الأجنبية في رياض الأطفال، منذ البداية، ثم إن الكتب المدرسية المقررة تأتي مباشرة من فرنسا وإنجلترا، وليست كتباً مغربية!

إذا كانت المؤسسات الأجنبية مؤسسات محدودة في العدد، فإن خطرها أقل من خطر اعتماد المؤسسات التعليمية المغربية خاصة على مستوى رياض الأطفال والتعليم الابتدائي والأساسي لأنها تستوعب شريحة واسعة من أبناء المغاربة الذين يرون في تعلم الإعلاميات، والإنجليزية، واللغة الفرنسية، وغيرها من المواد، منذ التعليم الأولي المنقذ المستقبلي المادي، هذا من ناحية.

أما من ناحية ثانية فوزارة التربية الوطنية، حين يطرح عليها السؤال حول البرامج والمناهج التي تعتمدها مؤسسات التعليم الأجنبي بالمغرب، فإنها لا تفتأ تؤكد أنها ستعمل بحزم على ضرورة احترام البرامج والمناهج التعليمية المغربية الأساسية في هذه المؤسسات، على اعتبار أن هذه المؤسسات توجد فوق التراب المغربي، ويدرس فيها أبناء المغاربة. لكن مثل هذه الرؤية، ومثل هذا القرار يحتاج إلى استقلال حقيقي، يحتاج إلى سيادة، يحتاج إلى رؤية واضحة لبرامج ومناهج التعليم، يحتاج إلى توفر البلد على الموارد المادية والبشرية للتحكم في نظامه التعليمي. أمّا ونحن نمد أيدينا إلى المؤسسات المولة الأجنبية، فشيء طبيعي أن مثل هذا القرار لا يمكن أن نتخذه، لأنه من شرط التمويل الأجنبي أن يسمح لهامش من برامجه ومناهجه أن يتغلغل ويتوسع في النظام التربوي والتعليمي بالمغرب.

طبعاً نتيجة كل هذا هو أننا في المغرب نعيش بأنظمة تعليمية متعددة، فمن النظام الفرنكوفوني من التعليم الأساسي والثانوي، إلى النظام التعليمي العصري (المغربي)، إلى نموذج التعليم الأصيل.

نرى كل هذا في التعليم الثانوي والأساسي، وعلى مستوى التعليم الجامعي هناك النظام الأنجلوساكسوني الذي تعتمده جامعة الأخوين، والنظام الفرنكوفوني المعتمد في كثير من الشعب بكلية الآداب، وكليات العلوم، وكليات الحقوق، خاصة على مستوى لغة التدريس.

وذلك يصارع نظاماً عربياً إسلامياً يتمثل في شعب الدراسات الإسلامية، واللغة العربية، إذن هناك خليط في الأنساق التعليمية، بحيث لا يمكننا أن نقول: إننا نعيش نمطاً واحداً موحداً من النظام التعليمي التربوي بالمغرب. فجامعة الأخوين في الإصلاح الجامعي استثنيت بمادة خاصة في القانون التنظيمي من الإصلاح الجامعي، لأنها جامعة لها خصوصياتها في التكوين، وفي البرامج والمناهج. إذن هي جامعة غير مغربية على التراب المغربي! على اعتبار أنها لا تخضع لنفس الإصلاح الذي عنى باقي الجامعات الأخرى.

لكن لنتصوَّر معاً! لو أن جامعة القرويين مثلا طالبت أن يكون لها نفس هذا الاستقلال، على اعتبار أنها جامعة لها خصوصياتها، فشيء طبيعي أن يرفض هذا الطلب، فكيف يمكننا أن نكيل بمكاييل متعددة في نظام تعليمي يفترض أن يكون موحداً؟

إن ظاهرة إنشاء الجامعات والمعاهد الأجنبية، التي تعتمد مقررات فرنسية أو أمريكية، ويتهافت الناس على إلحاق أبنائهم بها، هي ظاهرة مرضية تسهم بدورها في سلخ الإنسان المغربي عن هويته، وليس فيها تنويعاً ثقافياً كما يدعون، بل هي ذبحة للوحدة الثقافية، لحساب ثقافات معينة، مستغلين في ذلك لهفة الشباب على الهروب من عالم البطالة، ومن عالَم آفاقه المادية محدودة إن لم تكن مسدودة، إلى عالم آخر عكس ذلك، حيث الحرية والمال والأعمال.

الاختراق الغربي-العلماني لمجال التربية والتعليم في البلدان الإسلامية

"هناك حالياً اتجاه يسرف في الحكم على الدول وفقاً لعدد دباباتها وطائراتها المقاتلة! والواقع أن كَمَّ وكيف التعليم هو الذي سيكون العامل الأكثر حسماً في المستقبل القريب.. فليست المعركة العسكرية هي التي ستحدد مصير الأمم الصغيرة والمتوسطة في العالم، بل إن الذي سيفعل ذلك هو النمو الفكري والفني الدائم للأفراد" .("ألبرت ميرجلان" خبير الاستراتيجية الدولية)

إذا كنا بصدد الحديث عن الحصاد العلماني في مجال التعليم فلا يمكن عزل التعليم اليوم عن بقية أبعاد المخطط العلماني من إعلام، واقتصاد وسياسة، وغير ذلك.

وإذا كان هذا الحصاد لا يمكن التعبير عنه بدقة من خلال الأسلوب الكمي، فإن الأسلوب التوصيفي والتحليلي يمكن أن يتيح لنا نظرة تتسم بالدقة إلى حد بعيد.

من خلال هذا المنظور يمكن أن ندلف إلى قضية التعليم وعلمنته لنرصد أخطاءه وخطاياه.

بدأت قضية العلمانية تطل برأسها وتتسرب رويداً رويداً منذ عادت البعوث العلمية من فرنسا، وقد كانت فرنسا على ما فيها من ازدهار للفكر العلماني شأنها شأن باقي دول أوروبا تتحين مثل هذه الفرصة لتغرس غرسها وتمضي مع الوقت لتحصد النتائج.

كان للمدارس الأجنبية الدور البارز في خلق نظام تعليمي أجنبي ليستكمل التغريب مساره.

يقول "لورد سالسبري": "إن هذه المدارس هي أول خطوة لاستعمار الشعوب التي تنشأ فيها، فإنها تخرج فيها طائفة تخالف سائر أمتها في عقائدها وتفكيرها وتقاليدها، فتحدث فيها صدعاً وشقاقاً تنقسم به على نفسها فيقتلها هون الانقسام بأيديها" (تاريخ الصحافة الإسلامية، أنور الجندي، 271/1).

وكانت مدارس الإرساليات بما تقوم به ترسم الطريق والمناهج، حتى إذا جاء المستعمر فرض هذه المناهج على المدارس الوطنية مع تغيير طفيف. (مقدمات العلوم والمناهج 319/6-320).

وحتى ينجح الدور كان على المستعمر أن يربط مصلحته بمصلحة الطبقة الغنية المتنفذة، ففرض المصروفات المرتفعة على التعليم الأولي الابتدائي، والتي يعجز أبناء الفقراء عن تسديدها، وأضيف إلى هذا خطوة أخرى هي إنشاء مدرسة لتخريج المدرسين على النمط الغربي.

والفكرة الكامنة وراء ذلك هي أنه كلما تضاءلت مساحة الإدراك المعرفي لدى الأطفال والنشء والشباب في مراحل التعليم المختلفة بقضايا أمتهم والتحديات الخارجية التي تواجهها، وتعرضت ذاكرتهم للطمس، وأهيل التراب على القيادات التاريخية للأمة التي لعبت دوراً مهماً في استنهاض روح التحدي والكبرياء، كلما سهل على الجماعة المتنفذة المرتبطة بدورها بمصالح أمريكا أو أوربا وتوجهاتها اتخاذ قراراتهم بما يتفق مع تكوينهم الفكري وخريطتهم العقلية وانصياعاً لمصالحهم الاقتصادية، وانسجاماً مع انتماءاتهم الاجتماعية حتى لو تعارضت هذه القرارات على المدى البعيد والمتوسط مع مصالح شعوبهم وأوطانهم.

ومن هنا تمت أكبر عملية اختراق أمريكي أوربي لمجتمعاتنا من خلال التنشئة الفكرية والعسكرية للقيادات في البرامج التدريبية، وربط مصالح رجال الأعمال بالمصالح الأمريكية والأوربية من خلال مراكز البحث المنتشرة سواء منها الأمريكية أو الوطنية التي تعمل بنظام المقاولات، مما أحدث خللاً في النظام الإعلامي والتعليمي والقانوني، وانعكس هذا بدوره على التركيبة النفسية والفكرية لقطاعات واسعة من السكان وبخاصة الشباب والأطفال بفعل الأثر السلبي المضاعف لوسائل الإعلام في عصر السلام.

لقد ظل التحدي الخارجي يستنفر الطاقات حيناً في ظل غياب السياسات الناجحة، أما في ظل استراتيجية السلام فهل يمكن لنا أن نتخيل ما يحدث في ظل عوامل النحت والتعرية والتذويب والتفكيك العقدي والأخلاقي والسلوكي والعلمي في سائر البلاد الإسلامية؟

يقول الجنرال "ألبرت ميرجلان" خبير الاستراتيجية الدولية: "هناك حالياً اتجاه يسرف في الحكم على الدول وفقاً لعدد دباباتها وطائراتها المقاتلة! والواقع أن كَمَّ وكيف التعليم هو الذي سيكون العامل الأكثر حسماً في المستقبل القريب.. فليست المعركة العسكرية هي التي ستحدد مصير الأمم الصغيرة والمتوسطة في العالم، بل إن الذي سيفعل ذلك هو النمو الفكري والفني الدائم للأفراد".

فحرب العقول والهوية والذاكرة الجماعية للشعوب هي الآن جوهر مفاهيم الاستعمار الحديث.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

التعريب والفرنكفونية وحرب الهوية

"من الناحية اللغوية علينا أن نعمل مباشرة على الانتقال من البربرية إلى الفرنسية.. فليس علينا أن نعلم العربية للسكان الذين امتنعوا دائماً عن تعلمها، إن العربية عامل من عوامل نشر الإسلام، لأن هذه اللغة يتم تعلمها بواسطة القرآن بينما تقتضي مصلحتنا أن نطور البربر خارج نطاق الإسلام".(الجنرال ليوطي المقيم العام بالمغرب)

عرف تعريب التعليم بالمغرب تعثرا شديدا، بسبب تعصب الفئة الفرنكوفونية لمصلحة التدريس باللغة الفرنسية، فكان أن عُرِّبَ في خضم الصراع السياسي بعض مراحل التعليم، تعريباً جزئياً لم يسلم من انتقادات، وبقي الآخر فرنسياً على ما كان عليه في العهد الاستعماري.

يكفي أن نذكر أن أول مشروع تعليمي أقره المغرب غداة الاستقلال أكد ضرورة اعتماد اللغة العربية لغة رسمية للتدريس، واعتبر أن مبدأ التعريب هو أحد الأعمدة الأربعة التي سيقوم عليها إصلاح التعليم بالمغرب، والمحددة في التوحيد والتعميم والتعريب والمَغْرَبَة، وقد أعلن وزير التعليم آنذاك محمد الفاسي في ندوة صحفية في نهاية السنة الدراسية 1955 ـ 1956م أن اللغة الأساسية للتعليم هي اللغة العربية، غير أن الازدواجية ستظهر في أول خطوة تطبيقية بحيث أقرت اللجنة نفسها في اجتماعها بعد سنتين أي سنة 1958م تدريس العلوم باللغة الفرنسية، منذ القسم الأول.

وقد بقي هذا الاضطراب سائداً في جميع مشاريع الإصلاح سواء في التصميم الخماسي 1960 ـ 1964م أو التصميم الثلاثي 1965 ـ 1967م، أو التصاميم الحكومية الموالية، أو مخططات اللجان الملكية المستحدثة لإصلاح التعليم، والتي بنيت في أغلبها على تقارير البنك الدولي التي تشخص الوضعية التعليمية بالمغرب، في ارتباطها بالمجال الاجتماعي والاقتصادي.

ويكفي أن نشير إلى أن النظام التعليمي في المغرب الآن يعرف العمل بمبدأ تدريس العلوم التجريبية والطبيعية باللغة العربية، في حدود التعليم الثانوي، مع اعتماد اللغة الفرنسية في تدريس هذه المواد بالتعليم العالي، مما خلق ارتباكاً واضحاً في مستوى التحصيل لدى التلاميذ، وأجهض عملية تعريب التعليم من أساسها كتجربة كان يمكن أن تنجح لو حضرت الإرادة الوطنية القوية، وخف ضغط التيار الفرنكوفوني المتنفذ الذي لا يخفي تخوفه من حملة مدروسة لتطبيق مبدأ التعريب، يتم الاستفادة فيها من التجارب الناجحة لبعض الدول العربية كسوريا والأردن، ويحمل مسؤولية التخلف العلمي والتقني إلى اللغة العربية، وكأن بلدان العالم العربي التي تدور في فلك الفرنكوفونية وتعتمد الفرنسية لغة للتدريس قد حققت بفعل ذلك طفرة نوعية في هذه المجالات، والواقع أنها فقدت هويتها، ولم تحقق ما كانت تنشد من تقدم.

إن قضية مهاجمة اللغة العربية قضية قديمة ثارت وتثور اليوم من جهة النعرات القومية العميلة للتيارات الغربية، ثارت أول ما ثارت على يد العلماني كمال أتاتورك الذي أعلن إسقاط الخلافة الإسلامية ومكن للعلمانية في بلده، ومنع كتابة اللغة التركية بالحروف العربية، ومنع الأذان بالعربية، ثم سار على ذلك النهج بعض الكتاب العلمانيين، مثل النصرانيين سلامة موسى ولويس عوض، وجماعة من العلمانيين الحداثيين الذين ارتموا في أحضان الغرب، ورموا العربية بالعَجز عن أن تساير العلوم الحديثة، باعتبار أن هذه العلوم لم تنشأ في حضنها، فدعوا إلى دراسة العلوم باللغات الأجنبية، وكانت بلاد دول المغرب العربي مع الأسف من أكثر البلدان تأثراً بهذا المنحى الفرنكوفوني.

وإن كانت بعض البلاد العربية قد حافظت على تدريس العلوم البحتة باللغة العربية، وهي الآن رائدة في هذا الباب، إذ نجد الأطباء الذين درسوا الطب بالعربية، والعلماء الذين درسوا الرياضيات بالعربية لا ينقصهم شيء، بل هم رائدون نوابغ، منهم من يُدَرِّسون العلوم في الجامعات، أو باحثون في مؤسسات أمريكية، ومؤسسات غربية، وهي تعترف بعلمهم وشواهدهم.



ونحن في المغرب ظلت اللغة الفرنسية جاثمة على صدورنا، وجاثمة على عقولنا وأفكارنا، وبذلك صارت الألسن أعجمية، والعقول أعجمية، وأما التعريب الجزئي الذي حصل، فهو مثل قصة الغراب الذي أراد تقليد الحمامة، لا هو تعلم مشية الحمامة، ولا هو حافظ على مشيته.

ولم يُخْفِ المقيم العام بالمغرب رمز الاستعمار الشهير: "الجنرال ليوطي" تأسيسه لهذا التوجه، حين أصدر دوريته الشهيرة بتاريخ 1921/06/16م حول لغة التعليم بالمغرب، إذ يقول: "من الناحية اللغوية علينا أن نعمل مباشرة على الانتقال من البربرية إلى الفرنسية.. فليس علينا أن نعلم العربية للسكان الذين امتنعوا دائماً عن تعلمها، إن العربية عامل من عوامل نشر الإسلام، لأن هذه اللغة يتم تعلمها بواسطة القرآن بينما تقتضي مصلحتنا أن نطور البربر خارج نطاق الإسلام".

ومباشرة بعد صدور دورية ليوطي نجد "leglay maurice موريس لوجلي" ينشر مقالة مؤيدة لهذا التوجه، وذلك في السنة نفسها يقول فيها: "إن التعريب سيقود البربر إلى إسلام تـام ونهائي، وإلى أن تـوجـد بالمغرب ـ وعلى أيدينا نحن، وهو ما نرفضه ـ كتلة إسلامية منسجمة لا نظير لها.. والمشروع يفرض أن يتم تطوير سكان الجبال باللغة الفرنسية المعبرة عن فكرنا، سوف يتعلم السكان البرابرة اللغة الفرنسية وسوف يحكمون بالفرنسية.. علينا أن نُقلع في كل مكان عن الحديث باللغة العربية، وإعطاء ا لأوامر بالعربية إلى قوم هم مجبرون على فهمنا وإجابتنا.. ولذلك ينبغي العمل قبل كل شيء على تحويل مصالح الشعب المغربي في اتجاه مصالحنا نحن، وأيضاً تحويل مصيره إن أمكن، وليس هذا بدافع عاطفي محض، ولكنه بدافع فهم واضح للهدف المبتغى، والنتائج المتوخاة لصالح قضيتنا".

إن الحرب المعلنة على التعريب لهي خير دليل على مدى أهمية التعريب في تحديد هوية المواطن المغربي، فبعدما نجحت الفرنكوفونية في القضاء على اللغات الأصلية لكثير من الشعوب، في معظم مستعمراتها الإفريقية، نراها الآن لم تفقد الأمل في ضم المغرب إلى لائحة الضحايا، وما ذلك إلا لعلمها علم يقين أن صلاح وفلاح المواطن المغربي إنما يكمن في معرفته للغته دينه، وهي اللغة العربية التي تمكنه من فهم دينه، ومن بناء شخصيته وفق معايير شرعية مضبوطة تضمن له الانضباط والطمأنينة والاستقرار النفسي.

وقد جربت هذه السياسة اللغوية والتعليمية في الجزائر منذ نهاية القرن التاسع عشر حين أصدر والي فرنسا آنذاك "الأميرال كيدون" سنة 1871م أوامره إلى الآباء البيض (وهم أعضاء منظمة تبشيرية فرنسية كانت تعمل من أجل تنصير البربر في الجزائر وتونس) قائلاً: "إنكم إذا سعيتم إلى استمالة الأهالي بواسطة التعليم وبما تسدون إليهم من إحسان، تكونون بعملكم هذا قد قدمتم خدمة جليلة لفرنسا، فليس في وسع فرنسا أن تنجب من الأطفال ما يكفيها لتعمير الجزائر، ولذلك فمن الضروري الاستعاضة عن ذلك بفرنسة مليونين من أبناء البربر الخاضعين لسلطتنا. واصلوا عملكم بحنكة ودربة وحيطة، ولكم مني التأييد، وفي إمكانكم أن تعتمدوا علينا كل الاعتماد".

ومما لا يخفى على المتابعين لسلوك الدول الاستعمارية أن استبدال اللغة الأم بلغة المستعمر كان هدفاً أساسياً حرصت عليه كل دولة مستعمرة. ومن هنا فإن أهمية اللغة العربية في حياة المسلم لا تقل عن أهمية الماء والهواء والطعام، بل هي أعظم من ذلك، فبدونها لن يفهم القرآن ولا السنة، وبالتالي لن يفهم دينه، وهذا يكفي ليهيم على وجهه في بحر من الظلمات.

إن الدعوة إلى الفرنكوفونية على حساب اللغة الأم إنما هي دعوة إلى استمرار سياسة السيِّد والعبد، وتكريس لسياسة التبعية والتقليد الأعمى التي تضمن دوام السيادة للسيِّد ودوام التبعية للعبد.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

المشاكل المسكوت عنها في النظام التعليمي المغربي

بقلم محمد القريفي
منتسب لكلية الحقوق بمراكش

مع بداية كل موسم دراسي جديد، تجدد الأسئلة حول جودة التعليم، وتتناسل النظريات والتحليلات على مختلف المنابر الإعلامية، لكن معظم تلك الكتابات التي قاربت القضية بقيت على الهامش ولم تنفذ إلى عمق الإشكالية التي تعانيها المنظومة التعليمية بحق موضوع جودة التعليم يستحق التأمل، كثير من الإعلاميين والمشرفين على تسيير المنظومة التربوية دبَّجوا كتبا ويوميات ومقالات، لكنهم فشلوا في وضع الأصبع على مكمن الداء، وبالتالي صعب واستحال عليهم وصف الدواء.

ومن ثم كان لزاما على كل من يحمل في قلبه هم هذه الأمة وهم أجيال المستقبل، أن يسهم في الحديث عن هذا الموضوع، ويزداد الأمر تأكيدا حينما نستشعر أن ثمة أيادي قذرة خفية تعمل جاهدة من أجل مسخ مناهجنا التعليمية، واستئصال ثوابتنا العقدية، أيادي عفنة ملوثة تعمل في الكواليس ساعية إلى ضرب الإسلام أمة وحضارة ومنهجا وهوية، أيادي مشبوهة لها ارتباطات وخيوط خارج تراب المغرب تستهدف تكميم أفواه العلماء والدعاة والخطباء، حتى يتسنى لها تكوين أجيال ممسوخة مستلبة لا تفقه ما يخطط لها في جنح الظلام مما يسهل عليها مأمورية قيادة القطيع بدون شغب أو اعتراض أو طرح استفهامات.

من هنا أمسى مطروحا علينا أن نشخص واقع وآفاق التعليم المغربي تشخيصا شموليا للكشف عن جذور الإشكال، وبعيدا عن لغة الأرقام الرسمية للمنجزات والمشاريع التي تم القيام بها لإصلاح النظام التعليمي وبعيدا عن تلك التنظيرات التي تعتبر أن فشل وعقم سياسة التعليم يرجع بالأساس إلى جمود طرق التدريس وتخلف المناهج التعليمية، والبعد عن مقر العمل، وصعوبة المسالك وندرة وسائل النقل وضغوط استعمال الزمن وضعف الكفايات المهنية للمدرسين، وانعدام برامج وطرق بيداغوجية وتفاقم نسب المتسربين والراسبين وسوء التوجيه، ونقص الموارد المالية، وغياب دور أباء وأولياء التلاميذ وقلة المنح الدراسية ومشاكل الاكتظاظ...الخ.

أنا لا أقلل من تلك الحقائق ولا أنفيها، وقد تكون فعلا من معوقات جودة التعليم، لكنني أقول بأنها ليست هي المشاكل الجوهرية الحقيقية التي يعاني منها النظام التربوي المغربي، وبالتالي مهما عقدنا المؤتمرات والمنتديات والدورات بغرض تحسين مردودية المدرس والمتمدرس، ومهما وضعنا الخطط والاستراتيجيات بهدف تجويد التعليم، فإنها ستذهب هباء ولن تجنى منها الثمار المرجوة، والأدهى والأمَرّ ستزداد سنة بعد سنة ميزانية الأموال التي تصرف لفائدة التعليم، بدون نتائج محسوسة على الفرد والمجتمع.

فما هي تلك المشاكل المسكوت عنها في النظام التعليمي المغربي؟ والتي من شأنها أن تساعد أصحاب القرار على وضع الحلول الناجعة لإزالتها وتحجيم خطرها.

التعليم ومروجي الأفكار المنحرفة

من الأخطار التي تنذر بعواقب وخيمة على المجتمع، تلك الأفكار العلمانية والإلحادية التي لا سند لها من الشرع والعقل والتي اقتحمت المؤسسات التعليمية بدون استئذان، فوجدت لنفسها مرتعا خصبا وهذا يدفعنا إلى مناقشة نوعية المدرسين الذي يشرفون على مهمة التدريس في مختلف مراحل التعليم، إن الواقع ليس على ما يرام ولا يرضي ربنا، فما زال هناك من يقول للتلاميذ "الدين أفيون الشعوب"، يشكك في وجود الله، يطعن في القرآن والسنة، يتهجم على الصحابة، يروج نظريات ماركسية وشيوعية وإباحية انقرضت وصارت في مزبلة التاريخ...ضاربا المقررات عرض الحائط، فيحدث التلاميذ ويقوم بغسل أدمغتهم بكل ما من شأنه زرع الكراهية حيال الدين والعلماء والتاريخ الإسلامي، أفلا يعتبر كل ذلك خيانة وإجراما للمتعلمين؟

وهناك من الأساتذة من يستغل فراغ وجدان الطالب من المعرفة الدينية الصحيحة، فيبغض لهم كل ما يمت لحضارة الإسلام وتاريخ المسلمين، وينقل لهم افتراءات المستشرقين وشبهات مختلف أعداء الدين، وأحكي عن تجربة شخصية كنت فيها أنا الضحية حتى لا يقال إنني أبالغ في وصف ما يجري بدهاليز المدرسة المغربية، وذلك أنني كنت مغرما بقراءة الكتب الثقافية، ونظرا لضعف حالتي المادية، حيث كان يتعذر علي اقتناء أمهات وجديد الكتب، وبتشجيع خفي من أحد الأساتذة الماركسيين تحت غطاء تبادل الكتب واستعارتها، كان يتحفني مع -باقي التلاميذ طبعا- بكتب إلحادية خطيرة قلبت أفكاري وشخصيتي وأخلاقي رأسا على عقب، وبعد ما كنت ذلك الشاب الوديع المهذب الذي يواظب على الصلوات ويحترم العلماء، أمسيت تحت تخدير تلك الكتب الهدامة إلى إنسان أخر ينكر وجود الله ويعتبره مجرد فكرة خيالية اختلقها رجال الدين بتواطؤ مع السلطة الحاكمة لاسترقاق الناس واستعبادهم.

أليست هذه جريمة في حق التلاميذ؟؟؟

ولولا أن من الله علي بالهداية، وانقذني من جحيم الشبكات العنكبوتية العلمانية والماركسية، لأصبح وضعي كحال أكثر شبابنا الجامعي الذي تعرض هو الأخر للقصف الفكري الإلحادي، فبات يعيش حياة العبث والتيه والحيرة والضياع، يتلبس بشتى أنواع الموبقات، يتعاطى المخدرات، يحتسي المسكرات، يضاجع العاهرات، يمارس العقوق تجاه الأباء والأمهات، يحارب بشراسة -قل نظيرها- كل من يلمس فيه تعاطفها مع الدين ويقوم بشعائر العبادة، ويعفي لحيته، فإنه ينظر إليه على أنه رجعي وأصولي وظلامي ومتزمت يعيش في أوهام القرون الوسطى.

التعليم وانتشار الإجرام بين المتمدرسين

إن من يعرف ما يروج داخل المؤسسات التعليمية لن يصاب بالدهشة والاستغراب إذا رأى آثار الفصام النكد بين الدين والحياة، والحصاد المر لإبعاد القرآن والسنة، وثمار تقليص إن لم نقل إقصاء مادة التربية الإسلامية، مما انعكس سلبا على مردودية التعليم ونتائج التلاميذ، إذ أصبح أغلب طلاب المدارس روادا للإجرام والفواحش والشغب والفوضى والغش والتسيب، صنف منهم شكل مافيات وعصابات لترويج شتى أنواع المخدرات والمسكرات بين التلاميذ، ناهيك عن الضرب والجرح وحمل السلاح الأبيض حتى وصل الحال إلى إقدام بعض التلاميذ على الإجهاز على حياة زملائهم والاعتداء على أساتذتهم داخل المؤسسات التعليمية، وصنف تخصص في المتاجرة بالرقيق الأبيض وعقد المواعيد الغرامية، ويكفي أن يقف- كل من يشكك في هذه الوقائع- أمام المدارس، وسوف يرى بأم عينيه منكرات وأفعال يستحي من فعلها ذوو المروءة والغيرة، والأدعى للعجب أن يصبح كل مجرم منحرف وقد يكون أحيانا لا علاقة له بالمؤسسة الدراسية، يقف أمام أبواب المدارس، وهو يستقل سيارة فاخرة أو دراجة نارية جديدة للإيقاع والتحرش بضحايا الحب والغرام، هذه الأوضاع دفعت الكثير من الآباء إلى مرافقة أبنائهم إلى الأقسام الدراسية وانتظار خروجهم في الزوال والمساء تحسبا لكل الاحتمالات السيئة.

فيا أصحاب القرار أفلا تعقلون؟

عن أي جودة للتعليم تتحدثون؟

وعن أي خطط بيداغوجية تتشدقون؟

إما أنكم في سبات نائمون؟

أو فقدتم الإحساس فلا تشعرون؟

حتى الوسط الجامعي معقل العلم والمعرفة تحول بفعل الفوضى والتسيب إلى ميدان للاختلاط وعرض الأزياء والأجساد العارية، وما يقع حوله من مسرحيات جنسية وصلت رائحتها للصحف الإخبارية أشهر من أن يذكر، حتى أصبحنا نسمع عن جرائم هتك للأعراض أبطالها بعض أساتذة الجامعة والله المستعان.

أما الشباب الذي تعرض لحالات الطرد والتكرار، فانقطع عن مواصلة مشواره الدراسي، بدون أن يحصل على أي مؤهل تربوي يساعده على الاندماج في المجتمع، فإنه هو الآخر بات يرتكب جرائم للقتل والاغتصاب واختطاف الفتيات وسرقة السيارات.... دون أن نتحدث عن تطويره للجرائم التي أضحى يستورد طرق تنفيذها من الغرب الملحد كاقتحام المصارف البنكية والمؤسسات العمومية، وتهديد سلامة المواطن سواء في الشارع أو مقر عمله مما يطرح علامات استفهام كبيرة حول جودة التعليم بصيغته الراهنة، وبالتالي ضرورة التعجيل بإصلاحه إصلاحا جذريا قبل أن يستفحل الخطب، ويتعذر الرقع.

من هنا ومن خلال هذا المنبر الإعلامي الجاد، نذق ناقوس الخطر، ونقول لمن يهمهم الأمر أدركوا التعليم بإصلاحه قبل أن يتعرض هو الآخر للسكتة القلبية أو الدماغية.

حتى لا نجهز على التعليم بأنفسنا..

اعتبارا لكل ما عرضناه، يتوجب علينا تصحيح هذه الأوضاع حتى تسترجع المؤسسات التعليمية هيبتها ووظيفتها التربوية الأخلاقية التهذيبية التكوينية، فتصبح بذلك مصنعا لتخريج القادة وصناعة الرجال الذين يعتمد عليهم في تنمية الأمة والدفع بها قدما إلى الأمام، بدل ما هو عليه الحال الآن، حيث يتخرج من أحشاء المدرسة والجامعة شباب منحرف ذوي اهتمامات سطحية تافهة،

شباب مجنون بقصص روميو وجوليت وقيس وليلى، شباب أغلبه غارق في الشهوات لا يتذكر المساجد إلا لحظة الامتحانات أو في المناسبات الموسمية، شباب لا شغل له إلا تتبع آخر صيحات الموضة، شباب متبلد الإحساس لا يستشعر ما يجري حوله من إبادة وحرب وهمجية وتقتيل لإخوانه المسلمين.

قلت: أن تصبح المؤسسات التعليمية محضنا لتربية الشباب بحق، وتبث في قلوبهم الرجولة والقيادة، هذا هو التحدي الحقيقي الذي أصبح يفرض نفسه الآن على كل من يحترق قلبه لأمته ووطنه وإخوانه، علينا تحصين نظامنا التعليمي ضد جميع الانحرافات والانزلاقات حتى يبقى قلعة مناهضة للميوعة والانحلال، فضاء للعلم والأخلاق، فضاء يتشبع فيه التلاميذ بقيم العفة والحشمة والفضيلة والحياء، علينا إيقاف مرتزقة التعليم عند حدهم، الذين حولوا المؤسسات التربوية إلى وكالات بنكية لا هم لها إلا سرقة أموال أباء التلاميذ تحت ذريعة ما يسمى بالدروس الخصوصية، علينا أن نراجع الخلل في طرق التقويم والامتحانات إذ ما زال الاهتمام ينصب على الحفظ أكثر مما ينصب على كفايات البحث والتحليل والتواصل والأخلاق، علينا جميعا تحصين المؤسسة التعليمية ضد الإلحاد والتطاول على المقدسات والثوابت، ضد التعصب والإقصاء لمن اختار قناعة إسلامية في فكره ومظهره، وهذا يقتضي من المدرس المربي القيام بوظيفته بكل صدق وأمانة، بعيدا عن سياسة التكاسل والتهاون وعدم القيام بالواجب، وأن يعمل على تطوير كفاءته وتجديد تكوين نفسه باستمرار، وأن يكون قدوة، نموذجا في أخلاقه وتعاملاته وملبسه... فالمفروض منه أن يجتهد لتأهيل التلميذ لمواجهة التحديات المستقبلية التي تنتظر أمتنا.

علينا جميعا مقاومة الانزلاقات الفكرية والسلوكية، الانزلاقات التي من شأنها إبعاد المنظومة التعليمية عن وظيفتها التربوية القيمة، وهذا يقتضي التصدي لكل من يريد أن يجعل من المؤسسة التعليمية وكرا للفكر العلماني الإباحي الدخيل على مجتمعنا، الغريب على أخلاقنا وتقاليدنا وأعرافنا.

ختاما نستخلص أن جودة حقيقية صادقة للتعليم لن تتحقق إلا بإحداث قطيعة جذرية مع حاضر التعليم العلماني العفن، ومحاولة ضخه بدماء وأفكار ومبادئ تمتح من القرآن والسنة وفهم سلف الأمة، وتعتز بهويتها الأصيلة وتفتخر بشخصيتها وتاريخ أجدادها.

ما لم يتحقق ذلك فإننا نقدم خدمات جليلة وبالمجان لأعداء الأمة لذبحها وسلخها وإجهاض أحلامها بالقيادة والريادة بين الأمم.

قد يدعي بعض ممن دأبهم الاصطياد في الماء العكر، والتهويل من أسطورة الخطر الإرهابي أن هذا التعليم الذي ننادي به الآن في هذه المقالة هو مصدر التطرف والإرهاب الذي اكتوى بناره العالم.

وطبعا الرد على مثل هذه الشبهات والاتهامات سيطول لكننا نأمل أن يتحقق ذلك في مقالات قادمة إن شاء الله تعالى.

mkarifi@hotmail.com

الحرب المعلنة من طرف العلمانيين على مادة التربية الإسلامية

مرت مادة التربية الإسلامية في النظام التعليمي والتربوي بالمغرب بمحطات عديدة ففي بداية عهد الاستقلال، أي في الستينيات من القرن الماضي، كانت مادة التربية الإسلامية في التعليم الابتدائي تدرس تحت اسم مادة الدين، ومرة تحت اسم مادة الأخلاق، ثم بعد ذلك في التعليم الأساسي والثانوي، كانت تدرس ضمن اللغة العربية، كانت آنئذ مادة اسمها اللغة العربية والتربية الإسلامية، كانت مقررات التربية الإسلامية غير مبرمجة ولا معدة، ولا خاضعة لأي قاعدة من قواعد البرامج، وغالبا ما كانت تسند إلى أساتذة اللغة العربية، وأستاذ اللغة العربية في هذه الحالة يكتفي بتدريس اللغة العربية غالبا، ولا يهتم بتدريس التربية الإسلامية إلا فيما ندر.

ثم بعد ذلك في نهاية السبعينيات استقلت المادة بنفسها، فأصبحت مستقلة عن مادة اللغة العربية، لكنها كانت تدرس بأساليب تقليدية عتيقة، وبرامجها ومنهاجها لم تكن تخضع بأي حال من الأحوال للبناء العلمي والمنهجي، ووسائل التعليم فيها كانت ضعيفة جدا، ولذلك فإن جيل الثمانينيات احتفظ بذكريات سيئة عن مادة التربية الإسلامية باعتبار أنها مادة للحفظ فقط، وأن المواضيع التي تدرس فيها مواضيع جافة لا علاقة لها بالسلوك اليومي للمتعلم، أضف إلى ذلك أنها لم تكن مادة إلزامية في الامتحانات، فكان بعض الطلبة، نظرا لحسهم الديني، أو لحاجاتهم للإطلاع على الجديد في مجال الثقافة الإسلامية، يحرصون على حضور حصص تلك المادة تطوعا.

إن محاربة مادة التربية الإسلامية بالمغرب، هي في الحقيقة إحدى مخلفات الغزو العلماني، والغزو الثقافي الاستعماري الذي غزا أمتنا من خلال الهجمة الفرنسية الفرنكوفونية التي غزت التعليم بالأساس. والآن صار للاستعمار خطط وأساليب ماكرة في العصر الحديث فلقد يئس المستعمرون من لغة الحديد والنار فبدلوا السلاح لوجهة أخرى، وهي غزو الأفكار وغزو الضمائر، فأول ما فعلوه هو أنهم عزلوا التعليم الديني عن التعليم المدني، ففصلوا هذين بعد أن كانا مشتركين.

وقد كانا إلى عهد قريب شيئا واحد، فنذكر أن في جامع القرويين والأزهر وفي غيرها من الجوامع الإسلامية، والجامعات العتيقة، كان يتخرج الأطباء والمهندسون والبيطريون.. وكانت العلوم الدينية إلى جانب العلوم المدنية التي تبني الحضارة التكنولوجية مقترنتين.

ولما أخرج التعليم من الجوامع وأدخل الجامعات الحديثة كانت هذه هي نقطة الفصل بين الدين والدنيا، حتى يتسنى لذلك الطالب أن يُبعد عن دينه، بدراسته في جامعة بلا مراقبة شرعية ولا تربية دينية، هذه قضية استعمارية تاريخية معروفة.

بعد ظهور الصحوة الإسلامية المعاصرة، وانتشارها في الأرض، بدأت فكرة المخطط الذي وضع من طرف المكرة الصليبيين والماسونيين، ومن يعاونهم في البلاد العربية تحت ما سمي بمخطط (تجفيف منابع الأصولية في العالم الإسلامي)، وأجهز على البقية الباقية من برامج التعليم الديني، فأقصي الإسلام من كثير من المعاهد المدنية، والمدارس المدنية وعُزلت عن أن تخضع للتأثير الديني والإسلامي، وأبقي للإسلام هذه الحصة التي تسمى :(التربية الإسلامية).

ثم لم يزالوا بعد ذلك في كل وقت، وفي كل مرحلة من مراحل التغيير السياسي، فكلما جاءت حكومة نظرت لتكون (أرقى) من الحكومة التي سبقتها في التضييق على التربية الإسلامية وتقزيمها، إمعانا في محاربة الإسلام، فحوربت المادة من جهتين:

أولا: من جهة تقزيم مقررها، وتقزيم ساعاتها وإعطائها مُعاملا ضعيفا جدا!

فمُعامل اللغة الفرنسية مثلا -بتأثير من الاتجاه الفرنكوفونية بالمغرب- يُقوّم بخمسة أو ستة، بينما معامل التربية الإسلامية لا يكاد يتعدى الواحد، وحصتها ساعة واحدة في الأسبوع، وبدأ اليساريون العلمانيون يحاولون أن تصير في المخطط الحديث للإصلاح مادة اختيارية، مع إعطائها اسما جديدا (الحضارة الإسلامية).

وكانت الجدالات والنقاشات في اللجان التي وكلت إليها مهمة تهيئة مشروع الإصلاح أن يحصر تدريس مادة التربية الإسلامية في المستوى الابتدائي والإعدادي. وكان بعضهم يتبجح ويقول: "عار علينا أن نعلم التلميذ الدين الإسلامي وهو في سن المراهقة، بل الواجب أن يتعلم ذلك في الصغر، أي في طفولته الأولى". هكذا أرادوا حتى إذا وصل سن المراهقة عزل عن دينه، حتى يتسنى لهم ببرامجهم التعليمية الزائغة أن يفسدوه ويبعدوه عن دينه.

من هنا فهذه المادة أصبحت لا تؤدي مفعولها الحقيقي وأثرها المرجو، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا يترك هذا الدين من غير مؤثر، فعلى هزال ما فيها وقلة أساتذتها، فإنها لا تخلو من تأثير.

أما الوجهة الثانية التي حوربت من خلالها التربية الإسلامية فهي: قيام أساتذة غير مؤهلين ولا مختصين بتدريس هذه المادة، بل أساتذة لا يمثلون القدوة الإسلامية المنشودة، فقد تجد منهم المدخنين، والسكارى والمعربدين، بل والملاحدة أحيانا، حتى يقال: هذا هو الإسلام. الإسلام هو قول بلا عمل، مرجئة جدد يظهرون الآن في هذا الزمان ليعلموا الناس أن الإسلام في القلب فقط، لا في العمل.

من الخطأ التاريخي لهذه الأمة أن يتحول التعليم في المغرب إلى تعليم علماني محض، المغرب الذي كان قبلة طلاب العلم من المشرق والمغرب، وتأسست فيه أول جامعة في التاريخ والتي هي جامعة القرويين، جامعة القرويين لم تكن تدرس الفقه المالكي، والحديث النبوي، والنصوص القرآنية الكريمة فقط، بل كانت تدرس كل علوم الكون، كعلم الفلك والرياضيات.. فالقرآن هو الذي أسس الأصول لنظرية المعرفة العلمية.

إلا أنه عندما جاء الاستقلال تغير كل شيء مع الأسف، هذا الاستقلال الذي كان آباؤنا وأجدادنا يموتون من أجله، لا ليستقل المغرب عسكريا، ويبقى مستعمرا في جانبه الثقافي، وإنما ليستقل استقلالا تاما، ومن بين معاني استقلاله التام أن يكون تعليمه مبنيا على الإسلام من أوله إلى آخره، فعلمنة التعليم خطأ كبير وقع فيه المغاربة الذين تولوا مسؤولية وضع هذه البرامج، إن كانوا مغاربة في حقيقتهم.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

ماذا يراد بمناهجنا التعليمية؟

المنهج الدراسي - في أي بلد - يقوم على أسس ومنطلقات عقدية وفكرية واجتماعية يؤمن بها ذلك البلد، وتلك الأسس والمنطلقات هي ما يؤمن به المجتمع ويعتقده، لذا فلا بد أن يكون المنهج صادقاً في تمثلها وتحقيقها، لأنه من أهم الوسائل في تحديد شخصية المجتمع وكل فرد ينتمي إليه.

وتخطيط المنهج التعليمي يُعنى بتحقيق الأهداف التربوية التي تنطلق من عقيدة الأمة، ويتطلع المجتمع إلى تحقيقها، وهذا يعني تحديد نوعية التربية التي يريدها.

وفي فترة سابقة قال الرئيس "رونالد ريجان" عندما صدر التقرير الأمريكي المشهور "أمة في خطر" Nation at Risk: "لو أن هذه المناهج التي بين أيدينا فرضتها علينا أمة من الأمم لاعتبرنا ذلك اعتداءً سافراً علينا"، وهي الآن منذ أحداث الحادي عشر من شتنبر 2001 م، وبعد احتلال العراق وأفغانستان، ترسم استراتيجية لتغيير واقع المجتمعات الإسلامية، أحد ركائزها تغيير المناهج وفق الرؤية الأمريكية، ويتبعها في ذلك العلمانيون المستغربون الذين هاجموا المناهج بصورة عامة، ومناهج العلوم الشرعية بصورة خاصة.

إن مفهوم المناهج لدى المتخصصين مفهوم شامل في علم المناهج، يشمل (الأهداف، والمحتوى العلمي، والكتاب، والمعلم، والطالب، والمدرسة، والأنشطة الصفية وغير الصفية..)، فتغيير أحدها يعتبر تغييرا في المنهج.

أولا: الهجمة الأمريكية

تعددت أساليب الهجمة الأمريكية على مناهجنا ما بين طرح مشاريع، وانتقادات لمحتواها من خلال المقالات في كبرى الصحف، ودراسات متخصصة أعدت لتحليلها، ويمكن عرض نماذج منها على النحو التالي:

أ- الهجمة الموجهة لمناهج الدول العربية بصورة عامة.

مشروع مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط.. بناء الأمل للسنين القادمة، وهو الخطاب الذي ألقاه وزير الخارجية الأمريكي السابق "كولن باول" في مؤسسة التراث بواشنطن الخميس2002/12/12م:

أعلن الوزير الأمريكي أن الحكومة ستخصص لها 29 مليون دولار، لكي تنطلق المبادرة بقوة، وأنها ستعمل مع "الكونجرس" للحصول على دعم إضافي للعام القادم، وهذه الأموال ستكون زيادة على الأكثر من مبلغ (الألف مليون دولار) كمساعدة اقتصادية للعالم العربي كل عام.

وتم الإعلان عن تعيين نائب وزير الخارجية الأمريكي "ريتشارد أرميتاج" كمنسق لكل البرامج المنبثقة عن المبادرة الجديدة، ويعمل على متابعتها أيضاً مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى "وليام بيرنز" ونائبته "إليزبيث تشيني" ابنة نائب الرئيس "ديك تشيني".

وتركز المبادرة على حرب الإرهاب في الشرق الأوسط، والاهتمام بالإصلاح التعليمي حسب الرؤية الأمريكية، ويتبع ذلك تحديث التعليم، وتغيير المناهج، وتغيير نمط المدارس، والتركيز على تعليم الفتيات، وتوفير منح دراسية لإبقاء الفتيات في المدارس وتوسيع التعليم لهن، وتدريب المعلمين، وتعليم اللغة الإنجليزية.

ب - أهداف الخطة التعليمية:

إن أهداف مشروع الخطة التعليمية - كما حددتها المذكرة - هي:

1 - إن الفائدة الأساسية لهذه المؤسسات أنها ستضمن إيجاد فرص عمل لخريجي هذه المدارس والجامعات الأمريكية برواتب مغرية، مما يؤدي إلى زيادة الإقبال عليها، وبذلك يتحقق غرض ثقافي مهم، وهو ربط أبناء الدول العربية بأنماط الثقافات الأمريكية.

2 - إن هؤلاء الذين سيتلقون تعليماً عالياً متميزاً لا بد أن يدخلوا في دائرة الضوء والمناصب السياسية في بلادهم، وبذلك سنضمن ارتباطهم العاطفي، وترتيب أفكارهم مع الولايات المتحدة الأمريكية، وسيمثل هؤلاء في المستقبل دعامات أساسية لتأييد السياسات الأمريكية، وتلافي خطر الإرهاب ونتائجه.

3 - إن هذا المشروع يحتاج إلى قدر كبير من الموازنات المالية المستقلة والقادرة على تطوير هذه المدارس في المستقبل، لذا فإنه من المهم أن تدعم إقامتها سلسلة من المصالح والمشروعات والمؤسسات الاقتصادية الأمريكية التي ينبغي إنشاؤها في داخل هذه الدول، وهذا سيحقق فائدة كبرى لتوسع الاقتصاد الأمريكي.

ج - المراحل الزمنية لتنفيذ المشروع:

تحدد المذكرة التنفيذية مراحل تنفيذ المشروع على الوجه الآتي:

1 - البدء في طرح المشروع أول عام 2003م.

2 - تستمر خطوات التنفيذ والإعداد والإنشاء حتى عام 2005م، ويتضمن ذلك أيضاً البدء في الإعداد للدراسات التدريبية، والبرامج المشتركة، والتأهيل مع حكومات دول المنطقة.

3 - الدراسات الفعلية تبدأ من عام 2005م.

د - التدريب:

تدعو المذكرة إلى عقد دورات تدريبية مشتركة سواءً تمت في البلاد العربية أو في أمريكا.

وتدعو أيضاً إلى "اعتماد برنامج منفصل لترجمة مئات الكتب الأمريكية في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية إلى اللغة العربية، وتوزيع هذه الترجمات على المؤسسات الدستورية في البلدان العربية، وخاصة البرلمانات، وما يتعلق بالحكم المحلي والجامعات والوزارات والهيئات الاقتصادية الكبرى، والعديد من المؤسسات الاقتصادية الخاصة، إضافة إلى برنامج خاص بالترجمة يهدف إلى ترجمة كتب أمريكية ميسرة حول الأنماط المثلى للحياة الأمريكية في جوانبها المختلفة، وقصص رمزية توجه النظر إلى أغراض وأهداف معينة، سيتم توزيعها على طلبة المدارس التعليمية، وإدخالها في صلب المناهج التعليمية للمدارس الحكومية في هذه البلدان، ويجب أن تتم الترجمات تحت إشراف وزارة الخارجية الأمريكية، والتي ستقوم بتعيين عدد من الخبراء والمختصين على صلة مباشرة بكبار المسئولين المعنيين بتنفيذ البرنامج".

من أهم أسباب إخفاق مشروع التعليم في المغرب

هناك إجماع وطني رسمي وشعبي على إخفاق مشروع التعليم بالمغرب، بكل مراحله وأصنافه، منذ مراحل بداية الاستقلال إلى اليوم؛ وقد سئل الدكتور خالد الصمدي رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة المولى إسماعيل بمدينة مكناس عن أسباب هذا الإخفاق فأجاب بقوله:

في اعتقادي أن هذا الحكم الذي ذكرتموه أعني إخفاق مشاريع إصلاح التعليم في المغرب يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسية:

السبب الأول: هو عدم وضوح الرؤية، وعدم توحدها، في مستقبل النظام التعليمي؛ بحيث إن الأجنحة المتصارعة الآن في الساحة الوطنية، هي أجنحة أيديولوجية كل منها يرى من زاويته الخاصة الشكل الذي ينبغي أن يكون عليه المتعلم في المستقبل. إذن ليست هناك رؤية واحدة ومحددة؛ وهو ما يجعل مشاريع الإصلاح مشاريع غير موحدة بقدر ما تكون مشاريع توفيقية تحاول ما أمكن أن ترضي جميع الأطراف. هذا سبب.

أما السبب الثاني: فيعود إلى عدم الاستقلالية في اتخاذ القرار، واتخاذ الموقف؛ بخصوص الملفات الكبرى. ومنها ملف التعليم. فقد سبق أن ذكرت لك أن الاستقلال في اتخاذ أي قرار، خاصة في المجال الاقتصادي، والمجال التعليمي بوجه أخص يحتاج إلى التضحية، يحتاج إلى بذل خاص، يحتاج إلى صبر، يحتاج إلى الاعتماد كلياً على الطاقات والموارد الذاتية.

وحيث إن هذا غير متوفر في المغرب؛ فشيء طبيعي أن إصلاح التعليم الذي يتطلب وسائل وإمكانات كبيرة جداً لا يمكن أن يتم إلا عن طريق استجداء المؤسسات الدولية، والذي يقابله فرض إملاءات من جهتها، وتوجيهات ملزمة لتكييف النظام التعليمي حسب حاجاتها هي، وحسب مصالحها هي. فعلى سبيل المثال: لو أنك قررت مثلاً أن تضع في برامج التعليم وفي مادة التربية الإسلامية بوجه خاص مجموعة من المواضيع التي تحرم الخمر، والقمار، والعلاقات الجنسية غير الشرعية؛ والحال أن الاستثمار الأجنبي والتابع له، سواء في العالم العربي والعالم الإسلامي، يسير في اتجاه التمكين لمجموعة من المؤسسات التجارية التي لا تروج إلا هذا؛ فإن الجهات الممولة تتدخل؛ لحذف مثل هذه المواضيع من نظامنا التعليمي! حتى تفتح المجال بشكل أوسع للاستثمارات الأجنبية.

إذ منطق حالها يقول: لا يمكنني بوصفي مشاركاً اقتصادياً، أو مؤسسة منفتحة اقتصادياً، أن أثق في نجاح الاستثمار داخل بلد يشتمل نظامه التعليمي على مجموعة من العوائق والمحددات التي لا تفتح المجال أمام الأجيال القادمة للتعامل بحرية مع المنتج الاقتصادي الجديد.

أما النقطة الثالثة في اعتقادي التي أسهمت في إخفاق مشاريع إصلاح التعليم بالمغرب، فهي الارتباط الكبير بالنظام التعليمي الفرنسي القديم، المعروف عالمياً أنه من الأنظمة المتخلفة التي لم تنتج إلا التبعية. فحتى نظام التعليم الفرنسي نفسه هو الآن عالة على التعليم الأنجلوسكسوني. ونحن نعلم أن البلدان التي اعتمدت النظام الأنجلوسكسوني كمصر، أو الأردن، أو غيرها، خاصة في منهج تكوين المكونين، وفي بناء البرامج وبناء المناهج؛ قد قطعت أشواطاً كبيرة جداً، ونجحت إلى حد ما في إصلاح التعليم. أما بالنسبة للبلدان المغاربية بشكل عام التي التصقت بشكل كبير جداً بالنموذج الفرنسي القديم، فلم تتطور، ولم تنتج، وكانت نسبة النجاح فيها أقل بكثير جداً من مساحة الإخفاق!

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

آية في كتاب الله

قال تعالى:"شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدي"

قال القرطبي: قوله تعالى: "شهر رمضان" قال أهل التاريخ : أول من صام رمضان نوح عليه السلام لما خرج من السفينة وقد تقدم قول مجاهد: كتب الله رمضان على كل أمة ومعلوم أنه كان قبل نوح أمم والله أعلم.

والشهر مشتق من الإشهار لأنه مشتهر لا يتعذر علمه على أحد يريده ومنه يقال شهرت السيف إذا سللته.

ورمضان مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا حرّ جوفه من شدة العطش.

قال الجوهري: وشهر رمضان يجمع على رمضانات وأرمضاء.

يقال إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمي بذلك.

وقيل: لأن القلوب تأخذ فيه من حرار الموعظة والفكرة في أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حرالشمس.

واختلف هل يقال رمضان دون أن يضاف إلى شهر .

والصحيح جواز إطلاق رمضان من غير إضافة كما ثبت في الصحاح وغيرها روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عيه وسلم قال: "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين".

فرض الله صيام رمضان أي مدة هلاله وبه سمي الشهر كما جاء في الحديث "فإن غمي عليكم الشهر" أي الهلال..

وفرض علينا عند غمة الهلال إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما وإكمال عدة رمضان ثلاثين يوما حتى ندخل في العبادة بيقين ونخرج عنها بيقين، قال تعالى: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" وروى الأئمة الأثبات عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :"صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدد"، في رواية "فإن غمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين".

قوله تعالى: "القرآن": اسم لكلام الله تعالى وهو بمعنى المقروء كالمشروب يسمى شرابا والمكتوب يسمى كتابا وعلى هذا قيل: هو مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنا.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن في البحر شياطينة مسجونة أوثقها سليمان عليه السلام يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنا أي قراءة، وفي التنزيل: "وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا" أي قراءة الفجر ويسمى المقروء قرآنا على عادة العرب في تسميتها المفعول باسم المصدر، كتسميتهم للمعلوم علما وللمضروب ضربا وللمشروب شربا كما ذكرنا، ثم اشتهر الاستعمال في هذا واقترن به العرف الشرعي فصار القرآن اسما لكلام الله وقد يسمى المصحف الذي يكتب فيه كلام الله قرآنا توسعا، وقد قال صلى الله عليه وسلم :"لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو" أراد به المصحف.

قوله تعالى: "هدى للناس" هدى في موضع نصب على الحال من القرآن أي هاديا لهم "وبينات" عطف عليه و"الهدي" الارشاد والبيان أي بيانا لهم وإرشادا والمراد القرآن بجملته من محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ ثم شرف بالذكر والتخصيص البينات منه يعني الحلال والحرام والمواعظ والأحكام، وبينات جمع بينة من بان الشيء يبين إذا وضح "والفرقان" ما فرق بين الحق والباطل أي فصل.

التنبيه إلى مسالك استدلال الفقيه

سعيد البحراوي

ـ الحذر من دعوى الاستعمال من غير تتبع فذا جهل بدلالة اللفظ ـ

يقول ابن تيمية في رده على البكري: "بالجملة فكلام هذا الرجل كثير منه نزاع لفظي، ومع كونه لفظيا فهو يعبر عن المعنى بلفظ لم يعبر به غيره، وينكر على غيره أن يعبر عن المعنى بالعبارة المستعملة فيه ففيه جهل وظلم، جهل بدلالة اللفظ في استعماله، واستعمال اللفظ فيما لم يستعمل فيه قط، وينكر على من استعمله في معناه، ويريد أن يلزمهم بالقبيح الذي ارتكبه ويحمل كلامهم على المعنى الباطل لظنه أن اللفظ يحتمل".

ومن باب الفائدة أقول: التزام الألفاظ الشرعية الفقهية مطلقا سبيل سلفي يجب إحياؤه. ويعجبني هنا ما ذكره العلامة ابن القيم في التحفة..:ونظير هذا اختلافهم في تسمية العشاء بالعتمة، وفيه روايتان عن الإمام أحمد، والتحقيق في الموضعين كراهة هجر الاسم المشروع من العشاء والنسيكة والاستبدال به اسم العقيقة والعتمة، فأما إذا كان المستعمل هو الاسم الشرعي ولم يهجر وأطلق الاسم الآخر أحيانا فلا بأس بذلك وعلى هذا تتفق الأحاديث وبالله التوفيق.اهـ

> **فسبيل الفقيه النظر في الألفاظ المستعملة وتتبعها أي النظر فيما بينه الله تعالى ورسوله.**

والكلام عن الاصطلاح الفقهي الحادث له وقفة، وفصل الخطاب في حكمه ما قال ابن القيم في الإعلام:(90/1) وَلَا حَجْرَ فِي الِاصْطِلَاحِ مَا لَمْ يَتَضَمَّنْ حَمْلَ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ فَيَقَعُ بِذَلِكَ الْغَلَطُ فِي فَهْمِ النُّصُوصِ وَحَمْلِهَا عَلَى غَيْرِ مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْهَا وَقَدْ حَصَلَ بِذَلِكَ لِلْمُتَأَخِّرِينَ أَغْلَاطٌ شَدِيدَةٌ فِي فَهْمِ النُّصُوصِ.

ومن أمثلة الباب: استعمال الماء المطلق عوضا عن الماء الطهور بل ذهب بعض الناس إلى الفرق فجعل المطلق أخص من الطهور والطهور أعم منه، وذلك باعتبار التغير وفي هذا هجر للفظ الشرعي وتخصيص من غير مخصص، والأمر يحتاج إلى تفصيل.

ومما يجب التنبيه عليه إجمالا بعض القواعد المندرجة تحت هذا الأمر.

حمل اللفظ المطلق على القليل المنكر دون الكثير الحق.

مثل الطلاق ثلاثا بلفظ واحد.

حمل اللفظ العام على الصور القليلة.

مثل الحديث الصحيح الذي رواه ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسأل عن الماء يكون في الفلاة من الأرض وما ينوبه من السباع والدواب؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث.

قال المجد ابن تيمية في المنتقى: حديث ابن عمر في القلتين يدل على نجاستها، وإلا يكون التحديد بالقلتين في جواب السؤال عن ورودها على الماء عبثا.اهـ

فحمله البعض على البول وهذا نادر غير مراد، فالغالب ورودها للشرب.

فالحذر من التخليط والاضطراب في هذا الباب، فالزم جادة السبيل، ولا يكن شأنك ما قال فيه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن(60):

..لأنه يستعمل في الحرف ما يدعه في نظيره، ثم يؤصل أصلا ويخالف إلى غيره لغير ما علة، ويختار في كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا طلب الحيلة الضعيفة.اهـ

الأمر الثاني: إدخال ما لا يتناوله اللفظ.

والمقصود به تحميل اللفظ ما لا يحتمل.

فالواجب "الوقوف عند حد الاسم الذي علق عليه الحل والحرمة فإنه هو المنزل على رسوله وحده بما وضع له لغة أو شرعا بحيث لا يدخل فيه غير موضوعه".

ومما له تعلق بحد الاسم من جهة المعنى خاصة، ترتيب الحقائق تقديما وتأخيرا أعني الحقيقة الشرعية، والحقيقة العرفية، والحقيقة اللغوية. ومعرفة ما يمنع من ذلك، والحذر من الاصطلاحات الحادثة.

قال شيخ الإسلام :"الأسماء التي علق الله بها الأحكام في الكتاب والسنة منها ما يعرف حده ومسماه بالشرع فقد بينه الله ورسوله كاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج والإيمان والإسلام والكفر والنفاق.

ومنه ما يعرف حده باللغة كالشمس والقمر والسماء والأرض والبر والبحر.

ومنه ما يرجع حده إلى عادة الناس وعرفهم فيتنوع بحسب عادتهم كاسم البيع والنكاح والقبض والدرهم والدينار.

ونحو ذلك من الأسماء التي لم يحدها الشارع بحد ولا لها حد واحد يشترك فيه جميع أهل اللغة بل يختلف قدره وصفته باختلاف عادات الناس.

فما كان من النوع الأول فقد بينه الله ورسوله وما كان من النوع الثاني والثالث فالصحابة والتابعون المخاطبون بالكتاب والسنة قد عرفوا المراد به لمعرفتهم بمسماه المحدود في اللغة أو المطلق في عرف الناس وعادتهم من غير حد شرعي ولا لغوي، وبهذا يحصل التفقه في الكتاب والسنة".

فسبيل الفقيه النظر في الألفاظ المستعملة وتتبعها أي النظر فيما بينه الله تعالى ورسوله. ومما يعين على ذلك كتب اللغة التي ميزت بين الحقائق وذكرت العلة والمأخذ والقيد.

ثم النظر في استعمال الصحابة لها، فهما سبيلان لا ينفصلان لمعرفة المقصد وإلا حمل اللفظ على غير المراد.

فالإخلال بهذه المنزعة والملحظ وقوع في التغيير والتبديل لمراد الشرع، وسبب الخلاف والتنازع.

فحق هذه المسألة أن تفرد بقاعدة منفصلة لأنها لب المسلك وأساسه، والاستدلال الحق لا يقوم إلا بها، لكن ما أجمل يفي بالغرض، والواجب التحرير.

والمقصود عدم جواز حمل اللفظ على غير ما يدل عليه."بل ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرآن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما مطلقا ونافع في معرفة الاستدلال والاعتراض والجواب وطرد الدليل ونقضه".

وسيأتي في قاعدة التصور زيادة إفادة.

ومن أمثلة القاعدة: تأويل من يتأول قوله: "أيما امرأة نكحت عن غير إذن وليها" على المكاتبة.

وكإدخال العينة في مسمى التجارة بحجة التراضي ونحو ذلك محتجا بقوله تعالى:"إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم".

عبد الله الحمداوي

القرآن نور

"يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً"

خير ما أنفقت الأعمار في تحصيله، وخير ما بذلت الأنفاس في الإعتناء به وحفظه واتباعه: كتاب الله جل وعلا، فهو الميدان الذي يتسابق فيه المتسابقون، ويتنافس فيه المتنافسون، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، من تمسك به نجا ومن تركه ضل وغوى، كما قال الله جل وعلا: " وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى".

القرآن الكريم كتاب الله وكلامه، حث النبي صلى الله عليه وسلم على تعلمه وتعاهده والتغني به ففي الحديث الصحيح من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: "تعلموا كتاب الله، وتعاهدوه، وتغنوا به، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل".

وفي هذا الحديث من العلم:

1- الأمر بتعلم القرآن.
2- تأكيد ندب المواظبة على تلاوته خشية التفلت.
3- الحث على التغني به.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم فضل الحافظ لكتاب الله الماهر فيه، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران".

فهذا الحديث يبين فضل حفاظ القرآن الماهرين بتلاوته لأنهم مع الملائكة، وفيه تنبيه لحامل القرآن أن يتشبه في أحواله وأعماله بهؤلاء الملائكة، إذ المدح لا يلحقه بمجرد الحفظ حتى يكون كالكرام البررة في كرمهم وبرهم.

وبيَّن عليه الصلاة والسلام منازل الحفاظ لكتاب الله تعالى في الآخرة ففي الحديث الصحيح من حديث عبد بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها".

ولأجل ذلك كان سلف الأمة أحرص الناس على الاعتناء بكتاب الله جل وعلا حفظا وتعلما وعملا.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن".

فهكذا كان حال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، أما حال الكثير منا فيندى له الجبين، نسأل الله المسامحة، ونسأله العفو والعافية، فالكثير منا إلا من رحم الله جل وعلا اتخذ القرآن مهجورا كما قال تبارك وتعالى: " وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورا".

قال ابن القيم رحمه الله في الفوائد: "هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والاصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وءامن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه...

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به.

وكل هذا داخل في قوله: " وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً"، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض".

قال تعالى: "يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نوراً مُّبيناً".

وفي السير عن نافع رحمه الله قال: "لما غسل أبو جعفر القارئ أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده كورقة المصحف، فما شك من حضره أنه نور القرآن".

ترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور

أفضل الطاعات والقربات: العمل على مرضاة الله جل علا في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت، فالأفضل في أوقات السحر مثلا: الاشتغال بالصلاة والقرآن، والدعاء، والذكر والاستغفار، والأفضل في وقت حضور الضيف: القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب وهكذا دواليك.

فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته، وهذا هو حال أهل التعبد المطلق، انظر المدارج 100/1 فما بعدها.

إلا أنه في حالة ازدحام الطاعات، والتعارض -عند الفعل- بين القربات، يقدم الفاضل على المفضول والأهم على المهم لأن الأعمال تتفاوت في الرتب.

قال الألوسي رحمه الله في روح المعاني 119/1 عند قوله تعالى: "يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون": "وهذه الثلاثة متفاوتة الرتب، فرتب سبحانه وتعالى ذلك مقدما الأهم فالأهم، والألزم فالألزم".

ومن أمثلة ذلك تقديم العمل الذي تعدى نفعه على القاصر عند الازدحام.

قال الناظم:

والمتعدي عندهم من العمل   أنمى من القاصر فضلا وأجل

متن الفوائد البهية 46.

بعث الحسن البصري رحمه الله قوما من أصحابه في قضاء حاجة لرجل وقال لهم: مروا ثابت البناني فخذوه معكم، فأتوا ثابتا فقال أنا معتكف، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه فقال: قولوا له يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة، فرجعوا إلى ثابت، فترك اعتكافه وذهب معهم. جامع العلوم والحكم 319.

وهذا الشأن يحتاج إلى معرفة بمراتب الطاعات وفقه في درجات القربات لأن "ترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور" قاله الغزالي رحمه الله في الإحياء 403/3.

قال ابن القيم رحمه الله في معرض ذلك: "وهذا موضع يحتاج إلى فضل فقه في الطريق، ومراتب الأعمال، وتقديم الأهم منها فالأهم" الفوائد.

مع العلم أن المرجع في معرفة الفاضل من المفضول، والأهم من المهم الكتاب والسنة.

قال الذهبي رحمه الله: "فضل الأعمال بعضها على بعض، إنما هو التوقيف، وورد في ذلك أحاديث عدة" السير 419/11.

حاجتنا إلى الاستغفار

الاستغفار طلب المغفرة من الله جل وعلا، وحقيقته طلب محو أثر الذنب والعقوبة.

قال تعالى: " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً" (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) أي: اتركوا ما أنتم عليه من الذنوب، واستغفروا الله منها.

"إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا" كثير المغفرة لمن تاب واستغفر، فرغبهم بمغفرة الذنوب، وما يترتب عليها من حصول الثواب، واندفاع العقاب، انظر تيسير الكريم الرحمن.

قال ابن القيم رحمه الله: "وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوما: سئل بعض أهل العلم (وهو الإمام بن الجوزي) رحمه الله انظر السير 371/21: أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنسا فالصابون والماء الحار أنفع له فقال لي رحمه الله: فكيف والثياب لا تزال دنسة" الوابل الصيب 162 صحيحه.

فيشير شيخ الإسلام رحمه الله إلى حاجتنا دوما إلى الاستغفار وأنه لا بد منه كيف لا "وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار" الوابل الصيب 84-85 صحيحه.

ومما يدل على ضرورة الاستغفار أن الله تعالى يحب أن يعفو ويغفر، فمن أسمائه الغفار والعفو، والتواب، فلو عصم الخلق فلِمَ كان العفو والمغفرة؟ انظر لطائف المعارف لابن رجب رحمه الله 58.

وها هو نبينا صلى الله عليه وسلم خير مثل في ذلك وخير قدوة حيث كان يكثر من الاستغفار الشيء الذي نحن أكثر حاجة إليه لدنو حالنا وضعف إيماننا.

ثم هل أعمالنا التي نقدمها لربنا جل وعلا كاملة تامة؟ الجواب: لا، فإن بها نقصا وخللا -إقلالا واستكثارا- ولذا فإذا أنصف العبد نفسه، وعرف أعماله استحى من الله جل وعلا أن يقابله بعمله ذاك أو يرضاه لربه، فعلم بذلك حاجتنا إلى الاستغفار، ومن تم يعي المرء السر في الاستغفار لله جل وعلا عقب الطاعات والصلوات، انظر طريق الهجرتين 220، ورسالة سر الاستغفار عقب الصلوات للقاسمي رحمه الله.

قال ابن القيم رحمه الله: "وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفارا عقب الطاعات لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه. وأنه لو لا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية.." المدارج 195/1.

مع التنبيه أن الاستغفار حقيقته القول باللسان مع الاقلاع عن الذنب بالجنان والأركان، أما الاستغفار بلا إقلاع فتوبة الكذابين كما أثر عن الفضيل بن عياض.

قال الحسن البصري رحمه الله: "استغفارنا يحتاج إلى استغفار".

قال القرطبي معلقا: "هذا مقولة في زمانه فكيف في زماننا هذا الذي يُرى فيه الإنسان مكبا على الظلم حريصا عليه لا يقلع..." التذكرة 411، قلت: فما القول في مثل زمننا فنسأل الله السلامة والعافية.

قال بعضهم:

أستغفر الله من أستغفر الله
من لفظة بدرت خالفت معناها
وكيف أرجوا إجابات الدعاء وقد
سددت بالذنب عند الله مجراها

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

العشر الأواخر واجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيهن

كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيرها، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: "أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد مئزره. زاد مسلم: وجد، وشد مئزره".

قولها "وشد مئزره": كناية عن الاستعداد للعبادة والاجتهاد فيها زيادة على المعتاد، ومعناه التشمير في العبادات، كما يقال: شددت لهذا الأمر مئزري: أي تشمرت له وتفرغت.

وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء وترك الجماع وهذا في حالة الاعتكاف فهذه الكناية معروفة عند العرب كما قال الشاعر:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم

دون النساء ولو باتت بأطهار

وقولها أحيا الليل أي استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها.

ويحمل قولها أحيا الليل على أنه يقوم أغلب الليل أو يكون المعنى أنه يقوم الليل كله، لكن يتخلل ذلك العَشاء والسحور وغيرها، فيكون المراد أنه يحيي معظم الليل.

وقولها "وأيقظ أهله" أي: أيقظ أزواجه للقيام ومن المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله في سائر السنة، لكن كان يوقظهم لقيام بعض الليل، ففي صحيح البخاري: "أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة فقال: سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتنة! ماذا أنزل من الخزائن! من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رب كاسية عارية في الآخرة" رواه البخاري. وفيه كذلك أنه كان عليه الصلاة والسلام يوقظ عائشة رضي الله عنها إذا أراد أن يوتر كما عند البخاري في صحيحه. لكن إيقاظه صلى الله عليه وسلم لأهله في العشر الأواخر في رمضان كان أبرز منه في سائر السنة.

خطأ عقدي حول ليلة القدر

ليلة القدر أفضل ليالي السنة لقوله تعالى: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ" أي العمل فيها من الصلاة والتلاوة، والذكر خير من العمل في ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر إلا أنه قد اكتنف هذه الليلة أخطاء عقدية شهيرة بين الناس من ذلك:

- اعتقاد كثير من الناس أن لليلة القدر علامات تحصل وتقع لبعض العباد فيها وينسجون حولها خرافات وخزعبلات فيزعمون أنهم يرون نورا من السماء أو تفتح لهم فجوة من السماء...!!

ورحم الله الحافظ ابن حجر فإنه ذكر في الفتح أن الحكمة في إخفاء ليلة القدر حصول الاجتهاد في التماسها بخلاف لو عينت لها ليلة لاقتصر عليها ثم نقل عن الطبري أنه اختار أن جميع العلامات غير لازمة فيها وأنها لا يشترط لحصولها رؤية شيء أو سماعه وقال: في إخفاء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر في تلك الليلة للعيون ما لا يظهر في سائر السنة، إذ لو كان ذلك حقا لم يخف على كل من قام ليالي السنة فضلا عن ليالي رمضان.

- قولهم بأنها رفعت أصلا. وقد حكاه المتولي من الشافعية في كتابه التتمة عن الرافضة، وحكاه الفاكهاني في شرح العمدة عن الحنفية.!!

وهذا تصور فاسد، وخطأ شنيع مبني على فهم مغلوط لقول النبي صلى الله عليه وسلم لما تلاحى رجلان في ليلة القدر: "إنها رفعت"، والرد على هذا الاستدلال من وجهين:

الأول: قال العلماء: المقصود بـ"رفعت" أي: من قلبي، فنسيت تعيينها للاشتغال بالمتخاصمين، وقيل: المعنى رفعت بركتها في تلك السنة، وليس المراد بأنها رفعت أصلا.

الثاني: عموم الأحاديث التي فيها الحث على قيامها، وبيان فضلها، كمثل ما أخرجه البخاري وغيره من قوله صلى الله عليه وسلم: "من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه".

قال النووي رحمه الله: "واعلم أن ليلة القدر موجودة فإنها ترى ويتحققها من شاء الله تعالى من بني آدم كل سنة في رمضان".

وعند الترمذي وصححه أن عائشة رضي الله عنها قالت: "قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها؟".

قال الشوكاني رحمه الله عن هذا الحديث في نيل الأوطار 303/4، أن فيه: "دليل إمكان معرفة ليلة القدر وبقائها".

وقال الزرقاني في شرحه على الموطأ 491/2 "ومن زعم أن المعنى -أي الوارد في حديث إنها رفعت- رفعت أصلا أي: وجودها، فقد غلط، فلو كان كذلك لم يأمرهم بالتماسها".

من أحكام عيد الفطر

أولا: الاستعداد لصلاة العيد بالتنظف، ولبس أحسن الثياب: فقد أخرج مالك في موطئه عن نافع: "أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى" وهذا إسناد صحيح.

وثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً لبس أحسن الثياب للعيدين، انظر الفتح 51/2.

ثانياً: يسن قبل الخروج إلى صلاة عيد الفطر أن يأكل تمرات وتراً: ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك يقطعها على وتر؛ لحديث أنس رضي الله عنه مرفوعا عند البخاري في صحيحه.

ثالثاً: يسن التكبير والجهر به يوم العيد من حين يخرج من بيته حتى يأتي المصلى؛ انظر الإرواء 123/3.

ومن صيغ التكبير، ما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه: "أنه كان يكبر أيام التشريق: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد "أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح..

رابعاً: يسن أن يخرج إلى الصلاة ماشياً؛ لحديث علي رضي الله عنه عند الترمذي، وهو حسن بشواهده.

خامساً: يسن إذا ذهب إلى الصلاة من طريق أن يرجع من طريق آخر؛ لحديث جابر رضي الله عنه مرفوعا عند البخاري في صحيحه.

سادساً: تشرع صلاة العيد بعد طلوع الشمس وارتفاعها. بلا أذان ولا إقامة. و هي ركعتان؛ يكبر في الأولى سبع تكبيرات، وفي الثانية خمس تكبيرات. و يسن أن يقرأ الإمام فيها جهراً بعد الفاتحة سورة(الأعلى) في الركعة الأولى و(الغاشية) في الثانية، أو سورة (ق) في الأولى و(القمر) في الثانية. وتكون الخطبة بعد الصلاة، ويتأكد خروج النساء إليها كما دلت على ذلك الأحاديث الثابتة الصحيحة

سابعا: إذا لم يعلم الناس بيوم العيد إلا بعد الزوال صلوها جميعاً من الغد؛ لحديث أبي عمير بن أنس رحمه الله عن عمومة له من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا إليه عند أصحاب السنن، وصححه البيهقي، والنووي، وابن حجر، وغيرهم.

ثامناً: لا بأس بالتهنئة، بأن يقول الناس :(تقبل الله منا ومنك)، انظر (الجوهر النقي 320/3) لابن التركماني.

تاسعاً: إخراج زكاة الفطر وهي زكاة واجبة على كل مسلم -ذكرا كان أو أنثى عبدا أو حرا، صغيرا أو كبيرا- عنده صاع زائد على قوته وقوت عياله وحوائجه الأصلية من طعام أو تمر أو شعير أو زبيب على حسب المشهور من قوت أهل البلد.

ويجوز إخراجها قبل الفطر بيوم أو يومين كما صح ذلك عن ابن عمر رضي الله عنه، وإن كان الأفضل اخراجها صباح يوم العيد مع التنبيه على أنه لو أخراجها بعد الصلاة لا تجزؤه وإنما تكون من جملة الصدقات.

وقد ورد في السنة إخراج نصف صاع من القمح انظر سنن أبي داود رقم 1620، وقد صحح الحديث الشيخ الألباني.

عاشرا: يوم العيد يوم فرح وسعة في حدود ما أباحه الله، فعن أنس رضي الله عنه قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: "ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر" أخرجه أحمد بسند صحيح.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

كلارك في ذكرى شتنبر: خسرنا معركة الأفكار ضد "الإرهاب"

إعداد: وائل الأجهوري

حوار صحيفة "فرانكفورتر روندشاو" الألمانية مع "ريتشارد كلارك" المنسق السابق لشئون "الإرهاب" في البيت الأبيض بمناسبة مرور خمسة أعوام على هجمات الحادي عشر من سبتمبر

ريتشارد كلارك كان مستشاراً لمكافحة الإرهاب لدى كل من الرئيسين كلينتون وبوش الابن، وهو أيضاً مؤلف كتاب "ضد جميع الأعداء" وهو من الكتب الأكثر مبيعاً، وقد تضمن الكتاب انتقادات حادة للبيت الأبيض في عهد بوش لفشله في الاستجابة للتحذيرات المتكررة عن نوايا القاعدة في مهاجمة الولايات المتحدة، وعلى حماقة الجري وراء العراق بدلاً من التركيز على أسامة بن لادن.

تحدث كلارك، الذي استقال في مارس العام الماضي بعد 30 سنة خدمة في أجهزة المخابرات الأمريكية في كتابه عن هوس أعلى المسئولين في إدارة بوش بصدام حسين وإصرارهم الهستيري على أنه مسئول عن كارثة 11 سبتمبر، على رغم تأكيد التقارير الاستخباراتية على عدم وجود علاقة له بها. ويستعيد كلارك في كتابه أحداث الساعات الأولى بعد الكارثة، التي أودت بحياة نحو 3 آلاف أمريكي في نيويورك وواشنطن، وكيف هرع إلى البيت الأبيض فجر يوم 12 سبتمبر، متوقعاً بحث الهجمات المتوقعة والإجراءات المطلوبة لمواجهتها، لكنه فوجئ بسلسلة اجتماعات حول العراق.

ويتذكر كلارك شعوره بألم جسدي عندما أدرك أن رامسفيلد وولفوفيتز عازمان على استغلال الكارثة لتحقيق أجندتهما في العراق. ويروي كيف شدّ ذراعه صباح ذلك اليوم الرئيس بوش وسحبه مع قليل من الأشخاص إلى غرفة العمليات في البيت الأبيض، وقال لهم حالما أغلق الباب: "اسمعوا. أعرف أن أمامكم الكثير لتفعلوه الآن... لكن أريد منكم بأسرع ما يمكن مراجعة كل شئ، أعني كل شيء. أنظروا ما إذا كان صدام فعل ذلك. ابحثوا عن أي صلة لصدام بذلك". وعندما أبدى كلارك شكه مؤكداً للرئيس الأمريكي أن القاعدة هي التي فعلت ذلك، قال جورج بوش: "أعرف، أعرف، لكن... ابحث عمّا إذا كانت لصدام علاقة بذلك، مجرد ابحث، أريدكم أن تعثروا على أي دليل ولو صغير".

كانت هذه مقدمة لابد منها لإلقاء الضوء على الرجل الذي أجرت الصحيفة الألمانية الحديث التالي معه:

– فرانكفورتر روندشاو: كيف ترون التوازن الأمريكي بعد مضي خمس سنوات من الحرب الأمريكية على الإرهاب؟

– ريتشارد كلارك: لقد تغير خطر الإرهاب ولم يكن كما كان بل اتخذ صوراً أكثر خطورة وأكبر ضرراً، وحسبما يرى كل الخبراء فإن عدد الإرهابيين النشطين في تزايد مستمر وأن دائرة الإرهابيين قد ولدت دائرة أخرى تضم الملايين من الأشخاص الداعمين للإرهاب مالياً وسياسياً وفكرياً، وأيضاً هذه الدائرة في تزايد وتنامي، منذ عام 2001 يتزايد عدد الإرهابيين الذين يقومون بهجمات كما يتزايد عدد الداعمين والمؤيدين لهم.

– فرانكفورتر: من وجهة نظركم ما هو الدور الذي تلعبه القاعدة على الساحة الدولية في تلك الآونة؟

– كلارك: تعتبر القاعدة الآن فكراً وحركة أهم بكثير من كونها جماعة لها تنظيم وقيادة، لقد كانت جماعة منظمة ونحن كنا على دراية بأن التخطيطات لأية هجمات يتم عرضها أولاً على أسامة بن لادن ومجلس الشورى التابع للجماعة من أجل التعديل فيها وتنقيحها ولكن الآن توجد العشرات من الجماعات المستقلة والتي خرجت من رحم القاعدة ولكنها غير تابعة لها، هذا يعني أن القاعدة لم تعد تلعب دور القيادة المركزية اللوجيستية الاقتصادية ولم يعد لديها معسكرات خاصة بها للتدريب على الرغم من أنها لا تزال ذات تأثير وفاعلية.

– فرانكفورتر: هل من الممكن أن يتم تكرار تلك الهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة قبل نحو خمسة أعوام؟

– كلارك: لدينا بأمريكا نحو 12 مليون مهاجر غير شرعي، ومن الملاحظ تزايد أعداد المهاجرين غير الشرعيين من باكستان والعراق والمناطق الفلسطينية. وكل من يتمكن من الدخول إلى أمريكا يمكنه الحصول على أوراق مزورة وأسلحة، ولا تزال بنيتنا الأساسية عرضة للهجوم ولكن مع تدمير القاعدة كجماعة منظمة ومرتبة فإنه لم تعد هناك جماعة تستهدف الولايات المتحدة في المقام الأول وتجعلها هدفها الأول كما كان الحال مع القاعدة لأن الجماعات الجديدة المنبثقة من القاعدة تركز هجماتها بصورة أكبر في تلك المناطق التي تتواجد فيها.

– فرانكفورتر: ألهذا ترى أن أوروبا صارت عرضة لإرهاب الإسلاميين بصورة أقوى من ذي قبل؟

– كلارك: نعم، الإرهاب في أوروبا صناعة محلية، وهو ما يعني أنه يأتي من الداخل، فالشبكات الإرهابية في إيطاليا وأسبانيا تتكون من اللاجئين أما في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا فإن أعضاءها هم من المسلمين الذين نشأوا في تلك البلاد وتربوا فيها، وتلك مشكلة لا تعرف أمريكا لها مثيلاً لديها ولا تعاني منها.

– فرانكفورتر: على الرغم من مرور خمس سنوات على أحداث 9/11 إلا أن السؤال الذي لا يزال مطروحاً داخل أمريكا هو: ضد من نحارب؟

– كلارك: أعتقد أننا نحارب ضد المتطرفين العرب من أهل السنة والذي يمثلون قلة قليلة من أهل السنة ويسيئون للإسلام وأنا لا أرى هذا صراعاً بين الحضارات على قدر ما أعتبره صراعاً داخل الحضارة الواحدة وهو ما يمكن أن يصفه المرء بأنه آلام بعض الدول الإسلامية على طريق العولمة.

– فرانكفورتر: ولكن الرئيس بوش ضم إلى هؤلاء السنة جماعات شيعية مثل "حزب الله"؟

– كلارك: تلك مشكلة أخرى مختلفة تماماً. فالشيء الوحيد الذي يجمع بين المتطرفين السنة وبين الشيعة هو أنهم يتشاركون ويعيشون في مكان واحد من العالم. التهديد الشيعي يفوق التهديد الذي يمكن أن تمثله دولة لأن إيران هي التي توجه وتستعمل وتمول حزب الله.

– فرانكفورتر: على الرغم من ذلك أعلنت حكومة الرئيس بوش "حرباً عالمية ضد الإرهاب"!

– كلارك: هي ليست عالمية كما أنها ليست ضد الإرهاب ولا يمكن تسميتها بالحرب. أما رفضي لوصفها بالعالمية لأنها لم تشمل العالم كله وإنما تركزت فقط على العالم الإسلامي وأوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، أما عدم كونها حرباً فلأنها تفتقد لكل المعاني المتعارف عليها لتسميتها بالحرب حيث أن الحرب تكون بين جيشين عدوين وهو ما لم يتحقق حتى الآن، كما أنها لم تكن ضد الإرهاب لأنها تطرقت وطالت أشخاصاً لا علاقة لهم بالإرهاب، أما المسمى الحقيقي لها فهو أنها صراع ضد جماعة معظم أعضائها من العرب السنة ويحملون "فهماً خاطئاً" للإسلام حيث حاولوا استبدال حكومات الدول العربية بدولة الخلافة وبهذا فهم يحاربون كـ"عدو بعيد" ضد أمريكا التي تقدم الدعم لتلك الحكومات وتقوم بحمايتها، وقد تطرق إلى ذهنهم أنهم يمكنهم الوصول إلى هدفهم وتحقيقه عن طريق بث الرعب والخوف في العالم الغربي.

– فرانكفورتر: يرغب النازيون الجدد في حل تلك المشكلة من خلال تصدير الديمقراطية إلى تلك البلدان العربية..فما رأيكم؟

– كلارك: الديمقراطية مصطلح لطيف وأعتقد أنه يمكن أن تتحقق في كل دولة من دول العالم ولكنها تنمو فقط حينما يتم رعايتها وتطويرها داخلياً لا عن طريق استيرادها من الخارج على فوهات المدافع والرشاشات. الديمقراطية تتحقق في العالم العربي فقط حين تصدر من داخل البلدان العربية.

– فرانكفورتر: ولكن الأمر في العراق يبدو خلافاً لما تقول!

– كلارك: حين قمنا باحتلال العراق فإنها لم تكن هي الخط المركزي في الصراع مع الإرهاب، ولكنها اليوم صارت كذلك وأصبحت المعسكر الأكبر لتدريب الإرهابيين من كل أنحاء العالم ونحن الذين تسببنا في هذا، كما أن العراق بات هو الحافز والدافع الرئيس للإرهابيين في العالم. وحينما نغادر العراق ونقوم بسحب قواتنا ـ وهذا حتماً سيحدث يوماً ما ـ فإن الكثير من الجماعات الإرهابية في العراق سوف تعتبر هذا انتصاراً لها، وهو ما يمكن أن يكونوا محقين فيه إلى حد ما.

– فرانكفورتر: ما هي أفضل سياسة ترونها لمحاربة الإرهاب من وجهة نظركم؟

– كلارك: لقد كانت لجنة 9/11 هي أول من قال بأننا يجب أن نحارب على مستويين، فعلى المستوى التقني يجب أن نمنع الإرهابيين من الوصول إلى أهدافهم التخريبية، لكن كل الإرهابيين الذين قمنا باعتقالهم حل مكانهم إرهابيون جدد آخرون لذا فإنه على المستوى الإستراتيجي كان ينبغي تجفيف منابع الدعم لهذه الجماعات ولهذا فإنه يجب أن نعتمد على محاربة الأفكار وبذلك يمكننا تقليل الدعم المقدم لهم والتأييد الذي يحصلون عليه. لقد انتصرنا في الحرب الباردة لأننا كنا أصحاب الأفكار الأفضل ولم نقم بقتل كل شيوعي بل أقنعناه بأننا نمتلك نظاماً أفضل من الشيوعية، غير أننا الآن ننتهج سياسة قتل المسلمين. وطالما بقينا في العراق فلن يمكننا أن نخوض معركة ضد الأفكار لأنه ببساطة ليس لدينا مصداقية، وطالما أننا نحتل بلداً عربياً لم يفعل شيئاً ضدنا فلن يكون بمقدورنا أن نجري هذا الحوار بين الأفكار لأنهم لن ينصتوا لنا.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

الفراخانيـــة

التعريف:

هي إحدى الفرق الباطنية السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية التي مازالت تتبع منهج "اليجا بول Dlijah pool"أو اليجا محمد.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

- ولد مؤسسها "لويس والكت" لعائلة تشتغل بالتمثيل والغناء، وأصولها من جزر البحر الكاريبي.

في عام 1956م دخل فرقة اليجا محمد الذي ادعى النبوة وأن معلمه "فرد محمد" هو الله المتجسد، ولما فتح "مالكوم" معبد محمد للإسلام رقم 11 في "بوسطن" عين له "لويس أكس" واعظاً ومديراً.

- ألَّف "لويس أكس" بعض الأغاني والمسرحيات التي عرضت في جميع المعابد لأهميتها في بيان تعاليم اليجا محمد مما أكسبه شهرة واسعة.

- لما فصل اليجا محمد "مالكوم أكس" عين "لويس" في منصب الناطق الأول باسم الفرقة ولقبه بفراح خان، ثم جعله واعظاً في أكبر المعابد، وأخطرها معبد محمد للإسلام رقم 7 الذي كان يديره "مالكوم" قبل طرده.

- ولكن بعد هلاك اليجا محمد وتولي "ولاس" الزعامة عزل فراح خان من جميع مناصبه وجعله في منصب صوري في "شيكاغو"، وأثناء هذه الفترة كان "لويس" ينكر نبوة اليجا وألوهية فرد محمد تماشياً مع إنكار "ولاس" لهما.

- لكن فرح خان استقال من ذلك المنصب ومن الفرقة إثر انسحاب المتنبئ "سايلس" في عام 1977م، وعاد إلى "نيويورك" وجمع أتباعه السابقين تحت الدعوة إلى العودة إلى تعاليم اليجا الأصلية، وفتح له معابد في "نيويورك" و"شيكاغو" و"لوس أنجلوس" وجمع أتباعاً فيها، وجعل لويس فراح خان شيكاغو مركزاً رسمياً لفرقته، وأصدر جريدة الفرقة التي سماها النداء الأخير، لإعادة بناء أمة الإسلام بالعودة إلى تعاليم اليجا محمد.

- أخذ فراح خان يتجول في الولايات المتحدة الأمريكية لإلقاء المحاضرات في الجامعات والتحدث في جميع مناسبات السود وكثر ظهوره على التلفزيون والإذاعة.

- ولما كانت دعوته إلى إعادة بناء منظمة اليجا (أمة الإسلام) وإحياء تعاليمه صافية خالية من دعاوى خاصة لنفسه، كما فعل المتنبئ "سايلس" فقد استجاب له معظم أفراد أسرة اليجا.

هي إحدى الفرق الباطنية السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية التي مازالت تتبع منهج "اليجا بول pool Dlijah" أو اليجا محمد

- في عام 1981م أعاد نظام توزيع الأسماء المقدسة وافترض على الجميع أن يكتب كل شخص في الفرقة (رسالة المخلِّص) يشهد فيها أن لا إله إلا الله الذي جاء في صورة السيد فرد محمد وأن المكرم اليجا محمد رسول الله.

- اكتسب فراح خان شهرة كبيرة بمساندته للقس الأسود "جيسي جاكسون" في حملاته الانتخابية.

الأفكار والمعتقدات:

- عقائد الفراخانية:

أثبت فراح خان تعاليم اليجا محمد كلها، ما عدا تغييرات بسيطة، دأب أن يذكر في آخر صفحة من جميع أعداد جريدة الفرقة النداء الأخير بابين تحت عنواني: ماذا يريد المسلمون وماذا يعتقد المسلمون؟!، يضمنها أهداف الفرقة الاليجية ومعتقداتها حرفياً كما كانت ترد في كل عدد من أعداد جريدة محمد يتكلم في عهد اليجا، كما يذكر في كل عدد مقالات اليجا المنقولة من أعداد محمد يتكلم القديمة.

- بعض عقائد الأليجية الأساسية التي أحياها فراح خان:

- أن الله قد خلق نفسه.

- أن جميع السود آلهة ويولد بينهم إله مطلق كل 25 ألف سنة.

- أحد الآلهة السود المسمى يعقوب قد خلق الإنسان الأبيض نتيجة لبعض التجارب الوراثية.

- أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أرسل للعرب فقط واليجا أرسله الله إلى سود أمريكا وأنه آخر المرسلين.

- ويعتقد فراح خان أنه هو المقصود بالحواري بطرس المعروف في المسيحية، ويعتقد أنه لا يملك قوة الإحياء ولكن بواسطة صوت اليجا محمد سوف يحيي الأمة بأسرها.

- الإنسان الأبيض شيطان.

- الإنسان الأسود هو الذي ألَّف جميع الكتب السماوية.

- معظم تعاليم القرآن موجهة إلى الرسول اليجا محمد والسود في أمريكا.

- لا قيامة للأجساد بعد الموت، والبعث والقيام عبارة عن يقظة روحية لمن هم نيام من السود في قبور الأوهام، ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة اليجا وإلهه والإيمان بهما.

- يقولون إذا كان العرب يعتقدون أن محمداً خاتم النبيين يقيناً فيمكن أن نجتمع ونتناقش في الأدلة حتى نصل إلى كلمة سواء، إلا أنكم أيها العرب عنصريون ولم تتجاوزوا هذا الجانب من طبيعتكم التي تماثل طبيعة الإنسان الأبيض الذي هو شيطان، أنتم واليهود والبيض كلكم شياطين.

- **إضافات فراح خان:**

- أما معتقدات فراخ خان الجديدة حول اليجا فإنه ألَّه اليجا كما ألَّه المسيحيون عيسى، بل ادعى فراخ أن اليجا هو عيسى المسيح.

- وادعى أن اليجا لم يمت بل بعثه الله حيًّا مع أن اليجا أنكر البعث الجسدي إنكاراً شديداً مطلقاً.

- يقول فراح خان: "إنما أنا هنا لأشهد أن المكرم اليجا محمد قد رفع وأن عيسى الذي كنتم تبحثون عنه وتنتظرون عودته كان بين ظهرانيكم لمدة أربعين سنة، ولكنكم لم تعلموا من هو".

- ويقول: "إن المكرم اليجا محمد حيٌّ وهو مع الإله سوية وعودته وشيكة الحدوث، وأشهد أن أحد إخوانكم اليجا من بينكم قد رفع إلى مقام محمود يمين الإله، وجعل رب العالمين فيه السلطة التامة على طاقات الطبيعة".

الإنسان الأبيض شيطان

- ويقول: "قد علَّمنا المكرم اليجا محمد أننا (الرجل الأسود): مالك الأرض وخالقها وصفوة كائناته وإله الكون كله، فإن لم يكن المكرم اليجا محمد إلهاً فلا يمكن أن نصل إلى درجة الألوهية، وإن لم يُبعث حياً فلا أمل فينا أن نبعث أحياء من موتنا الذهني والروحي والسياسي والاجتماعي".

نماذج من تأويلات فراح خان:

- بنى لويس فراح خان دعاويه في اليجا على تأويل آيات قرآنية وفقرات من الكتاب المقدس تأويلاً عجيباً منها:

- يقول فراح خان ممهداً لدعواه أن اليجا محمد هو عيسى ابن مريم وذلك تأويلاً للآية 44 من سورة آل عمران.

- أوَّل مريم البتول إلى رمز يقصد به السود في أمريكا حيث قال: "أين نبحث عن عيسى هذا، إن العبارة سوف تحمل بتول هي المفتاح لاكتشاف السر فإن كلمة (بتول) كما نفهمها في عالم المادة تعني امرأة لم يمسها رجل، ولكن كلمة (بتول) في الكتاب المقدس ترمز إلى أناس لم يلقحهم الإله، والسود في أمريكا هم أناس بتوليون كما هو واضح من تصرفاتنا.

- وانتهت به تأويلاته إلى القول برفع اليجا اعتماداً على الآية 157-158 من سورة النساء.

- ويقول: "أعلم أنكم تظنون أن اليجا محمد قد مات ولكنني أقف لكي أشهد للعالم أنه حي وبصحبة جيدة وهو ذو نفوذ"، .."إنني شاهد له وإننا شهداء له، وهو مكتوب في القرآن: "إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا.." الخ.

محاولات لإصلاح فكر فراح خان:

قام بزيارة إلى المملكة العربية السعودية، وعُقد لقاء بينه وبين بعض المسؤولين عن الدعوة في المملكة، وقد وعد خيراً وأظهر توجهاً للفهم وللمراجعة، ولكن عندما عاد إلى أمريكا بقيت نفس أفكاره وسلوكياته دون تغيير يذكر. وإن كان قد أصبح أقل إعلاناً لها، والذي يظهر أن الرجل غير مخلص ويبحث عن الزعامة وتتجاذبه عوامل عديدة. نسأل الله له ولكل ضال الهداية والعودة إلى الطريق المستقيم.

العدد 15 ـ 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

نشأة علوم الحديث ودورها في حماية السنة
ـ عصر التابعين وأتباعهم ـ
ـ تتمة ـ

بقلم: محمد علي حاجبي

سبق أن بينا في العدد السابق أن علوم الحديث نشأت منذ العهد الأول عهد صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنهم رضي الله عنهم تسلّموا مشعل الدفاع عن السنة وتمييزها من غيرها للتابعين. وقبل أن نبرز جهود هؤلاء ودورهم في الدفاع عن السنة والحديث وأثر ذلك في تطور علوم الحديث لابد أن نبين أن التابعين هم تلامذة الصحابة، فقد تلقوا عنهم العلم والإيمان والحرص على الهدي النبوي، فحملوا عنهم بعد موتهم رضي الله عنهم همَّ الدعوة واستشعار خطورة المهمة التي أنيطت بهم.

كما ينبغي أن لا نغفل أن الأمر ازداد خطورة في عهد التابعين فقد ازداد تشعب الأحزاب والفرق وتتابعت الفتن على الأمة تترى، وظهرت الدعوة الصريحة إلى البدع، مما يعني اللجوء إلى التلبيس والتدليس لإخفاء عيب الروايات نصرة للمذهب، بل اللجوء إلى الكذب الصريح، كما أن الإسناد ازداد طولا بما يعني ذلك من تعدد الوسائط، مما يحتم السؤال عن الرواة لتمييز الثقات من غيرهم، كما ظهر سبب آخر زاد الطين بلة وهو الخوف من ضياع السنة بموت الصحابة رضي الله عنهم الواحد تلو الآخر، مما جعل الأمة تدخل مرحلة تدوين السنة، أقصد التدوين الرسمي بأمر من الدولة، روى البخاري في صحيحه تعليقا: "..وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يُعَلَّم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا" (كتاب العلم/ باب: كيف يقبض العلم).

هذا الوضع جعل التابعين يهبون للقيام بالواجب تجاه ربهم ونبيهم وأمتهم، ولقد قاموا بذلك أحسن قيام، كيف لا وهم أحد القرون المشهود لهم بالخيرية في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".

ولقد دوت صرخات من أئمة التابعين لمواجهة كل هذه الأخطار المحدقة بالسنة وتجند لذلك فئام عظيم من الأمة حينها، ومن تلك الصرخات كلمة محمد بن سيرين التي تتابعت أجيال هذه الأمة خصوصا من أهل العلم على تناقلها وهي قوله رحمه الله: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم".

وفي هذا العصر واصل أئمة التابعين ممارسة قواعد وأصول علوم الحديث، فقد واصلوا السؤال عن الرواة والإسناد وتكلموا عن حكم المراسيل وعن حكم الرواية عن أهل البدع وغير ذلك، وهذه الممارسة جعلتهم يستخدمون فيما بينهم مصطلحات وألفاظ للتعبير عن حال الراوي والمروي، وكثر منهم ذلك حتى أصبحت هذه المصطلحات وتلك الألفاظ ذات دلالة عرفية بين أهل الحديث آنذاك، مما أدى إلى نشوء علم آخر من علوم الحديث ألا وهو علم المصطلح الذي ستدون قواعده بعد ذلك ابتداء من القرن الثالث في كتب مخصوصة كـ"المحدث الفاصل" وغيره.

إذن واصل علماء التابعين جهودهم لحفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم للأجيال القادمة من الأمة، ولقد طفحت كتب السنة والحديث بالآثار التي تبرز ذلك، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن سليمان بن موسى قال: لقيت طاووسا فقلت: حدثني فلان كيت وكيت، قال: إن كان صاحبك مليا فخذ عنه، قال النووي رحمه الله: "قوله :(إن كان مليا) ثقة ضابطا متقنا، يوثق بدينه ومعرفته ويعتمد عليه كما يعتمد على معاملة الملي بالمال ثقة بذمته" (مقدمة صحيح الإمام مسلم/ باب: بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات).

وقال ابن أبي الزناد عن أبيه قال: "أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ما يؤخذ عنهم الحديث يقال: ليسوا من أهله" (مقدمة صحيح مسلم)، وقال سعد بن إبراهيم: "لا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الثقات"، معناه: لا يقبل إلا من الثقات.

وعن أبي إسحاق إبراهيم بن عيسى الطَّالَقَاني قال: قلت لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن الحديث الذي جاء: "إن من البرِّ بعد البرِّ، أن تصلي لأبويك مع صلاتك، وتصوم لهما مع صومك" قال: فقال عبد الله: يا أبا إسحاق عمن هذا؟ قال قلت له: هذا من حديث شهاب بن خِرَاش فقال: ثقة عمن؟ قال قلت: عن الحجاج بن دينار، قال: ثقة عمن؟ قال قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يا أبا إسحاق، إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي صلى الله عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أعناق المَطِيِّ، ولكن ليس في الصدقة اختلاف، وقوله مفاوز: أي بين أبي إسحاق والنبي صلى الله عليه وسلم انقطاع كثير لأنه من تابعي التابعين، فأقل ما يمكن أن يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم اثنان.

ولقد تميز التابعون بدقة علمية فائقة في نقد الرواة والأسانيد، فمثلا كانوا يعتبرون الكلام في الرواة بحق من المصالح العظيمة التي يجب تحصيلها لأنه ـ الكلام في الرواة ـ سبب من أسباب تمييز حديث النبي صلى الله عليه وسلم من غيره وبالتالي كانوا لا يعدونه من الغيبة في شيء.

وكانوا كذلك لا يغترون بصلاح الراوي بل يفتشون في مروياته لتَبَيُّن درجة حفظه وضبطه لأن وصف الثقة مبني على العدالة والضبط فإذا كان صالحا فقد ثبتت عدالته، لكن بقي أن يتأكد من مدى ضبطه لمروياته، ولهم في ذلك طرق من بينها أنهم يعرضون مرويات راو ما عن شيخه على مرويات أهل الضبط والإتقان في نفس الشيخ، فإن وافقهم ـ الراوي ـ في غالب مروياتهم وإلا ردَّت مرويلته وضُعِّف بسببها، مثال ذلك: أن الزهري رحمه الله وهو من أئمة التابعين، الرواة عنه كثر وهم على طبقات، أعلى وأتقن الرواة عنه هم أهل الطبقة الأولى كيونس بن يزيد، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، فيعرضون مرويات من روى عن الزهري على أمثال هؤلاء ليتبينوا درجة ضبطهم.

وإذا انتقلنا للكلام عن علوم الحديث في عصر أتباع التابعين لابد أن نشير إلى أن الأسانيد ازدادت طولا، وطولها سبب لتشعبها ولصعوبة حصرها مع ما ينشأ عن ذلك من كثرة العلل واختلاف الرواة في المتون والأسانيد وهذا ـ تشعب الأسانيد ـ من الأسباب التي أدت إلى دخول تدوين السنة مرحلة جديدة بالنظر إلى طريقة التصنيف وذلك مواجهة لبداية انتشار أسانيد السنن وخوفا من تفلت بعضها. وطريقة التصنيف هذه تعتمد على جمع الأحاديث وفق الأحكام الفقهية أو غير ذلك، ومن العلماء السابقين إلى ذلك عبد الملك بن عبد العزيز ألَّف كتاب "السنن" و"الصلاة" وغيرها، وألَّف الإمام مالك "الموطأ" وكذلك بن أبي ذئب، وقد قيل إن مالكا لما ألَّف الموطأ قيل له: غيرك ألَّف موطأ، فقال كلمته المشهورة: "ما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل"، كما ألَّف كذلك معمر بن راشد وسعيد بن أبي عروبة وألَّف سفيان الثوري "التفسير" وغيره، وصنف حماد بن سلمة "السنن" وصنف كذلك ابن المبارك كتاب "الزهد" وغيره، كما ألَّف كذلك هشيم بن بشير وأبو إسحاق الفزاري وغير هؤلاء كثير.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

ما وراء تعزية بوش وشيراك في نجيب محفوظ!!! هل تمنح جائزة نوبل لأدبائنا حبا في سواد عيونهم!؟

بقلم: إبراهيم أنفلوس

رحل نجيب يوم 31 غشت من عام 2006 وتركت وفاته ضجة كبيرة في الإعلام بأنواعه، وانهمرت عليه المدائح والإشادات من كل حدب وصوب، وفي ظل سيطرة هذه الدعاية الإعلامية، تختفي كثير من الحقائق التي لابد من الوقوف عليها، وتضيع ملامح الحدث في غبش الدعاية، ومن أجل ذلك وجب على كل صاحب قدرة أن يبين للناس الأوجه الأخرى التي خفيت عليهم، وذلك لتعزيز الوعي وتعميقه بدلا من تسطيحه ودفعه إلى سوق الشائعات الرائجة.

رحل نجيب، ذلكم الروائي العبقري، والأديب المصري، الذي أشاد به الغرب وأصعده منصة الريادة، وعلق له وسام القيادة، بعد حياة صاخبة مليئة بالشهرة المفضوحة في العالم، ومسيرة طويلة في تسويد الأوراق بما لا يرجع على الأمة بأي نفع، بل كان ضررها وإثمها أكثر من نفعها، حتى أصبحت تلك الروايات -على انحلالها وانحرافها- مقررا يدرس في مدارس بعض الدول الإسلامية، وكأن كتب الأدب عُدمت، وكأن أئمة المسلمين لم يتركوا تراثا من الأدب العربي الإسلامي للأمة، لكنها الخطة الشيطانية التي تريد صنع أدب عربي بإشراف غربي، تلبّس به على سذج المثقفين، ومدّعي الأدب، محاولة من خلاله قطع المسلمين عن تراثهم النقي، وربطهم بثقافة محدثة تقطر بالأفكار الهدامة، والأخلاق الفاسدة.

رحل نجيب، والكل يتكلم عنه ويشيد به وبرواياته، وكل متتبع للقنوات الفضائية يرى تعزية بوش وشيراك وغيرهما وحزنهم عليه، والكل قد يعلم أن الغرب أناله جائزة "نوبل" واحتفى به بعد روايته الأثيمة (أولاد حارتنا)، ولكن القليل من يسأل لماذا هذه الضجة؟ وماذا وراء الأكمة؟

ولهذه الأسئلة فَنجيبُ يجيب، حيث سئل بعد فشله في محاولته الأولى لنيل الجائزة: إذا منحت لك جائزة "نوبل" هل سترفضها مثلما فعل سارتر؟ فأجاب: "نعم سأرفض هذه الجائزة لو منحوني إياها، لأن البعض اعتقد أنني أدعو إلى السلام و(كامب ديفيد) من أجل الحصول على جائزة "نوبل" التي تسيطر عليها الصهيونية العالمية". وبمجرد حصوله عليها بادر إلى قبولها وفرح وافتخر بذلك، وصار يثني ويمدح، وبذلك يعترف على نفسه بأنه مساند للصهيونية العالمية.

أرجع فأتساءل: هل حَظِيَ نجيب بهذه البطولة الموهومة، من أجل تحريره القدس أو العراق أو أي شعب مسلم من أيدي المحتلين الغزاة المغتصبين، الذين يتمتعون بتعذيب وقتل وتشريد المسلمين؟!

إن الغرب لا يشجع من الأدباء إلا من يمتثل لنشر أفكاره العلمانية في مجتمعاتنا، ويعيد إنتاج فكر أدباء الثورة على الكنيسة، وينشر الانحلال والرذيلة إيمانا منه أن هذه هي أقرب الطرق إلى تغيير منهج التفكير لدى المسلمين، وقبولهم بالعلمانية شرعة ومنهاجا.

فهل كان نجيب محفوظ سيعطى جائزة "نوبل" للأدب لولا إساءته الأدب مع الله؟! وهل كان أدباء آخرون من أمثال (الطاهر بنجلون) المغربي الذي حاز جوائز دولية كجائزة "كونكور" عن روايته "ليلة القدر" `nuit sacrée`؟! و(سلمان رشدي) و(تسنيمة نسرين) الذين حظوا بالتقدير الغربي لولا الجرأة على عقيدة المسلمين، والتطاول على مقدساتهم.

من هو نجيب:

حصل نجيب محفوظ على إجازة في الفلسفة، وتقلّد عدة مناصب منها عمله مستشاراً لوزير الثقافة وعضوا في المجلس الأعلى القومي للثقافة، نال وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى.

تقلب في انتماءاته فعاش وفديا في العهد الملكي حين كان حزب الوفد بارزاً، واشتراكيا في عهد عبد الناصر، ونادى بالسلام مع اليهود في زمن السادات، ثم ليبراليا في العهد الأخير، وفي خلال ذلك كله لم يتخل عن إيمانه بالعلمانية ومعاداته لتحكيم الإسلام في الحياة، وكراهيته للدعوات الإسلامية المنادية بذلك، كما لم يتخل عن إيمانه بالنموذج الغربي والاعتزاز بالأصل الفرعوني.

كما حصل على جائزة رابطة التضامن الفرنسية العربية، وفي سنة 1989 مُنح جائزة "نوبل" بعد روايته "أولاد حارتنا"، وقد بادر بتهنئته فور فوزه وزير خارجية الدولة الصهيونية "شمعون بيريز"، كما احتفى به سفير الدولة الصهيونية في القاهرة.

والرواية رمزية تجرّأ فيها على الله سبحانه وتعالى وأنبيائه عليهم السلام، واستطاع أن يقول بالرمز كل ما عجز عن قوله صراحة. بدأ نشرها مسلسلة في جريدة الأهرام، ثم على إثر توقيفها لفتوى علماء الأزهر في مصر، طبعت في كتاب عن دار الآداب ببيروت.. وملخصها لايخرج عن فكرة الصراع بين العلم والدين، ثم تكون النهاية بانتصار العلم، ويعني به الاشتراكية الإلحادية.

وتدور الرواية وأحداثها في دائرة استخفاف وسخرية بالله تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام؛ فإن الحارة رمز للدنيا وأولاد الحارة هم البشر من لدن آدم عليه السلام إلى العصر الحاضر، و"الجبلاوي" المتسلط في الرواية رمز لله سبحانه وتعالى، و"قاسم" رمز لمحمد صلى الله عليه وسلم، وجعله مدمن خمر وحشيش وصاحب نساء، و"جبل" رمز لموسى عليه السلام لأن الله كلمه في الجبل، و"رفاعة" رمز لعيسى عليه السلام لأن الله رفعه، وجعل "عرفة" رمزًا للعلم الذي يقتل "الجبلاوي"!! نعوذ بالله من الخذلان.

وقد ترجمت روايته هذه إلى اللغة السويدية بعنوان: "موت الإله" وفكرة موت الإله كما يقول الأستاذ المهنا: "فكرة فلسفية غربية، كتب عنها نجيب محفوظ في بداية حياته مقالات عدة، وخاصة عندما كان يدرس الفلسفة، وهي مستقاة من مقالات وكتب لسلامة موسى" النصراني الحاقد على الإسلام، ومنه استفاد نجيب وجهته: الفرعونية والماركسية.

حيث يقول: "كان لسلامة موسى أثر قوي في تفكيري، فقد وجهني إلى شيئين مهمين، هما العلم والاشتراكية، ومنذ دخلا مخي لم يخرجا منه إلى الآن".

ويقول: "كان سلامة موسى هو الراعي والمربي الأدبي لي.. إنه أستاذي العظيم".

وعلى الرغم من الضجة التي تولدت عن هذه الرواية، والغضب الذي ثار على نجيب، حيث وصل الأمر إلى محاولة اغتياله؛ فإن نجيب يتبجح بروايته ويقول: "إن "الثلاثية" و"أولاد حارتنا" و"الحرافيش" هم أحب أعمالي إلى نفسي".

رواياته وصبغتها:

صدر له ما يقارب الخمسين مؤلفا، ترجم معظمها إلى باقي اللغات العالمية، منها: الشحاذ، ثرثرة فوق النيل، رادوبيس، خان الخليلي، عبث الأقدار، الحرافيش.. الخ

يقول الأستاذ أنور الجندي: "الجنس واضح في معظم روايات نجيب محفوظ، شأنه في ذلك شأن إحسان عبد القدوس ويوسف السباعي، ولكنه عند محفوظ أشد خطورة؛ فهو يجعله نتيجة للفقر، ولا يرى للمرأة إذا جاعت إلا طريقاً واحداً، هو أن تبيع عرضها".

يعتمد نجيب محفوظ في معظم رواياته على اللغة الرمزية، مستفيدًا من دراسته الفلسفية، وهذه الرمزية تتيح له أن يبوح بفكره الماركسي، ولمزه للإسلام بواسطة الرموز التي لا تُدرك إلا بعد التأمل.

يقول نجيب:

- "إني مناهض للرجعية، وإن المثل الأعلى الذي أقترحه على الجيل الحالي هو الاشتراكية".

- "أوروبا تمكنت من حل المشكلة الجنسية بطريقتها الخاصة، تجد أن البنت عمرها 15-16 تلتقي في حرية تامة مع أي شاب، لا مشكلة جنسية ولا مشكلة عفاف ولا بكارة، وحتى إذا أثمرت العلاقة طفلاً، فالطفل يذهب إلى الدولة كي تربيه إذا كانت أمه لا تريده".

وللقارئ الكريم كامل النظر في الحكم على هذا الرجل ورواياته!!

والقصد من هذا المقال تحذير من كان ضحية الدعاية المزيفة ممن أعجب بكتابات نجيب، وتحذير أصحاب الأقلام، وحماة التراث، وتذكيرهم بمثل هذا اليوم الذي رحل فيه نجيب، فكل الناس سيرحل، وكل من ذاق من كأس الحياة لابد أن يذوق طعم الممات؛ قال تعالى: {**كل نفس ذائقة الموت**}.

وما من كاتب إلا سيفنى ويُبْقي الدهرَ ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

فإياك إياك أيها الكاتب أن تورّث كتاباً أو ورقة أو سطراً، تموت وتبلى عظامك، وتبقى تبعاته وآثامه عليك.

وختاماً أقول: إن مشكلة الأمة هو ضعف التصفية، وانعدام الموازين الشرعية، التي تمكّن كل واحد أن يعرف ما يستحقّ أن يقرأ وما لا يستحقّ، حتى لا يتسلل جرثوم إلى جسم الأمة المنهك بالأمراض، فنحن في زمن تُخَلِّف فيه الأقلام كل يوم أطنانا من زبالات الأفكار، وفضلات العقول من انحلال وخلاعة، وتشكيك بالثوابت وزندقة. والله المستعان.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

الدروس والعبر من غزوة بدر

إعداد
إبراهيم الوزاني

لعل أعظم انتصار أحرزه المسلمون، كان في رمضان، في يوم الفرقان، يوم غزوة بدر، الذي كان في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية، وفتح مكة، وهو الفتح الأعظم، كان صبيحة يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان في السنة الثامنة.

أما في بدر، فقد خرج المسلمون من المدينة، ليعترضوا قافلة قريش وهي عائدة من الشام، مثقلة بالأحمال والكساء والغذاء؛ وندبهم إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "هذه عير قريش، فاخرجوا إليها، لعل الله أن ينفلكموها".

كان الخروج للقافلة، الغنية، وقدر المسلمون أن يكون لهم من ورائها بعض الذي فقدوه من أموالهم بسبب الهجرة.

كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيرًا تحمل الزاد، وفرسان أو أربعة أفراس فقط.

لكن الأخبار تسربت إلى القافلة بخروج المسلمين إليها، فكسر قائدها أبو سفيان طريقه، فسلك جانب البحر، وأرسل إلى قريش لتخرج دفاعًا عن أموالها.. فهبت بصناديدها، وجهزت جيشًا قوامه تسعمائة وخمسون رجلاً، منهم سبعمائة بعير ومائة فرس.

وعلم المسلمون بأن عير قريش وقافلتها فرت ونجت من أيديهم، وإن قريشًا سارت للدفاع عن القافلة، وستصل بدرًا بعد يومين.

وهنا كانت المفاجأة، أراد المسلمون أموال القافلة، ففوجئوا بقريش تواجههم بحرب لم يستعدوا لها.

لكن الرسول الرحيم بأمته - عليه الصلاة والسلام - لم يشأ أن يفرض على المسلمين الحرب بل أراد أن يشركهم في هذا التحول؛ فقال: أشيروا علي أيها الناس!

فتكلم كبار الصحابة من المهاجرين، ومن الأنصار.

فكان من كلمة المقداد من المهاجرين: والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون؛ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون..

وكان من كلمة سعد بن معاذ سيد الأوس من الأنصار.. لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا أحد.. إنا لصبرٌ في الحق، صدق في اللقاء، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

استبشر النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع صحابته على المواجهة ولو كانت مفاجئة، فقال: "سيروا وأبشروا: والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم، إن الله وعدني في إحدى الطائفتين"، قال تعالى: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ} العير أو النفير (الحرب والنصر).

ولما نجت القافلة بتغيير طريقها، أرسل قائدها أبو سفيان إلى قريش قائلاً: إنكم قد خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجت فارجعوا.

لكن أبا جهل، أبى واستنكر، وقال: لا نرجع حتى نرد بدرًا، ونقيم فيها ثلاثًا، ننحر الجزور، ونشرب الخمور، ونطعم الطعام، ويسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا.

وأجمع المشركون على رأيه، فساروا حتى قربوا من بدر، ونزلوا في أرض سبخة (متربة)، وسار المسلمون فنزلوا في أرض مرسلة، فأنزل الله مطرا كان بلاءً على المشركين، فغاصت أقدامهم في الطين، وغابت قوائم الخيل في الوحل، وساءت حالهم. كما كان رحمة بالمسلمين، فشربوا وسقوا حيوانهم، وملؤوا أوعيتهم، وتلبدت الأرض تحت أقدامهم.

كما ظهرت الرحمة وتباشير النصر، بتقوية الروح المعنوية في قلوب المؤمنين عند اللقاء وفي قلب النبي صلى الله عليه وسلم في المنام.

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم عريشه، يدعو ربه، بحرارة وصدق، ويناشد ربه النصر، ويقول: "اللهم هذه قريش، قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني به، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم، لا تعبد".

وأبو بكر يشهد الدعاء، ويسمع التضرع، ويقول: "يا نبي الله! بعض مناشدتك ربك، إن الله منجز لك ما وعدك".

وفي هذا نزل قول الله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال:9-10].

وأخذت النبي صلى الله عليه وسلم سنة من النوم، وهو في العريش، ثم صحا يقول للصديق؛ أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل، آخذ بعنان فرسه، يقوده، على ثناياه النقع..

ثم خرج من العريش، يقول: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر:45] ويحرض المؤمنين على القتال والمصابرة، قائلا: "والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابرًا محتسبًا، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة"، ثم أخذ حفنة من الحصباء، فقذف بها قريشًا وقال: شاهت الوجوه، ثم قال لأصحابه: شدوا.. واشتد القتال وحَمِيَ الوطيس، وتهاوت السيوف وترامت النبال، وقاتلت الملائكة مع المسلمين، وما هي إلا ساعة، حتى هزم المشركون، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون..

قتل من المشركين في هذه الموقعة سبعون، فيهم رؤوس الكفر أمثال: عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وحنظلة بن أبي سفيان، وأبي جهل، وآخرين .. كما كان عدد الأسرى سبعين؛ وقتل من المسلمين أربعة عشر صحابيًا.

وقفل راجعًا بالمؤمنين، مكللين بالنصر المبين، إلى المدينة الطيبة.

كان ذلك في اليوم السابع عشر من رمضان، بعد أربعة عشر عامًا من بدء نزول القرآن.

دروس ومبادئ مستقاة من غزوة بدر الكبرى

الدرس الأول: تطبيق مبدأ الشورى

1- طبقه النبي صلى الله عليه وسلم أولاً في أصل فكرة قتال المشركين، حينما قال: "أشيروا علي أيها الناس"، لكيلا يحرجهم بفرض القتال عليهم، وهو غير محبب إليهم.

2- وطبقه في موضع القتال، حينما نزل بالمسلمين بأدنى ماء بدر، فأشار عليه الحباب بن المنذر برأي الخبير..

وتبرز الحكم الآتية في استشارة النبي صلى الله عليه وسلم صحابته:

1- تطييب قلوبهم، ورفع شأنهم.

2- تعليمهم ضرورة الشورى في المهام.

3- تصفية القلوب، واستئصال الأضغان، لأن النفوس تتأذى من الاستبداد وفرض الرأي.

4- بيان لطف مسلك النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، وتألفه وتواضعه لهم.

الدرس الثاني: تفريغ القلب من المادة

فقد تعلق بعض المسلمين بالغنائم عقب النصر، وكادوا يختلفون فيما بينهم، فأدبهم القرآن، وصرفهم عن التشاغل بالمادة، والتنازع بسببها:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال:1].

فلما ثابوا إلى الرشد، وتطلعوا إلى مرضاة الله، نزل قوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ} [الأنفال:41].

لقد كانوا في فاقة، لكن ما ينبغي أن تحملهم فاقتهم على الاختلاف من أجل المادة، فإن طاعة الله ورسوله فوق كل اعتبار.

والدرس الثالث: أن النصر بيد الله ومن عند الله

فالظواهر ما كانت تشير إلى انتصار المسلمين: قلة في العدد والعدة، جياع حفاة عراة، فوجئوا بالقتال، فأجمعوا أمرهم عليه، وربطوا الإيمان على قلوبهم، وتعلقوا بالله، واستماتوا في القتال طلبًا للشهادة.. وحرضهم النبي صلى الله عليه وسلم وبشرهم، واتخذوا معه جميع ما في طوقهم من الأسباب، فهيأ لهم أسباب النصر في المادة والروح:

1- وعدهم إحدى الطائفتين: القافلة أو النصر.

2- غشاهم النعاس، لتهدأ أعصابهم، ويستوثقوا من أنفسهم.

3- أنزل عليهم الماء من السماء، تثبيتًا لأقدامهم، وتطهيرًا لأجسادهم.

4- صور لهم عدد المشركين قليلاً كيلاً يفزعوا منه، وليجترئوا عليه.

5- وأرى نبيه العدد قليلاً، ليقوى قلبه، ويشتد عزمه.

6- أرسل ملائكته تقاتل مع المسلمين، وتثبت مواقفهم، وتنفث روح الاستشهاد، والثقة بنصر الله.

7- ألقى في قلوب المشركين الرعب، وهو نذير الفشل والخسران.

وصدق الله العظيم إذ يقول: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد:7].

الدرس الرابع: عاقبة الكبر والخيلاء، الخزي والسوء والعار

فهذا أبو جهل، لم يسمع إلى نصيحة أبي سفيان، بأن يعود بعد أن نجت القافلة، بل أصر على الخروج، والفخر بذبح الجمال، وشرب الخمور، وغناء القينات بهجاء المسلمين، وآمال النصر المعسولة.

فكانت عاقبته أنه قتل في المعركة، شر قتلة، وعلم أن آماله تكسرت، وأحلامه تحطمت..

لما رآى عبد الله بن مسعود أبا جهل وقد أسقطه عن فرسه سهما ولدي عفراء، جثم على صدره، وهو يجود بأنفاسه، فقال له أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقى صعبًا يا رويعي الغنم، فقال له عبد الله: ها قد أخزاك الله يا عدو الله، فقال أبو جهل: لمن الدائرة اليوم؟ قال عبد الله: لله ورسوله، وأخذ خنجره فاحتز رأسه به، وحمله إلى الرسول وصحابته، فكبر وكبروا وقال: "هذا فرعون هذه الأمة".. وكذلك تكون عواقب الفخر الفازع، والتعالي الأثيم على عباد الله المستضعفين.

مُفاضَلةٌ بَيْنَ الأدبِ والدّعوة

نور الجندلي

ظننت أنّي سأشكو لها دائي، ومخاوفي وأوجاعي، وسأضعها بين يديها لعلّها تبحثُ في علّتي، فتعثر لي على دواء، فقد تلمّست ميل القلب للقلم، وعشقه للأوراق والمحابر، وانكبابه عليها كاتباً بين قصّة ومقال وخاطرة.. فشعرت بضآلة ما أكتبه أمام ما تقوله، وبتصاغر ما كنت أعظمه من أفكاري، أمام هدير شلال من الوعظ الرقيق الذي تأتي به فيلامسُ كلّ قلب.

طبيبة للروح هي، تغسلُ كلماتها جراح الروح فتبرأ، لديها منبرها الهادئ، وأسلوبها الداعي القويّ، وحجّتها الصائبة، ينطلقها اللسان فيخترق قلوباً، ويزيّن مجلسها الإيمان فتخرج النساء منه بين باكية ومتأثرة، ومعاتبة لنفسها، ناقمة عليها لمعصية أو ذنب، عازمة أن تقلع عنه فلا تعود، وكلّ ذلك فضلٌ من الله عليها ومنّة.

أتتني هذه المرّة تشكو بتواضع عجز البيان، وإحجام اللغة في التعبير، وفاجأتني وهي تقول: هنيئاً لكم يا معشر الأدباء سيل مدادكم، هنيئاً لكم أوراقكم، محابركم، سموّ فكركم.

قضيت حياتي في الدعوة، فلم أوفق إلى على عذب لغة تتقاطرُ شهداً كما تفعلون، وعمدت إلى بساطتي الفطرية المطلقة، فما استطعت تسلّق سلّم البيان الذي إليه تصعدون!

واهتزّ الوجدانُ لقولها، ودمعت العينُ حزناً، وقلتُ لها: لا يغرّنك البيانُ وسحره، فإنه سلاح ذو حدّين وكم قتل البيان أناساً، وكم أودى بهم إلى ضلال، سحروا بأقلامهم عقول الناس واستلبوا قلوبهم، فأوردوهم إلى جهنم وهم يظنون أنهم أتباع الحق وسادة الفكر والفهم.

ثم انظري إلى الأدب وتاريخه، والأدباء وإبداعاتهم، وأروع ما وصلوا إليه حتى يومنا هذا..

ستجدينهم بكل مواهبهم وإبداعاتهم وقدراتهم مساكين جداً..

أجل.. إنهم حقاً مساكين أمام آية كريمة تبكي القلوب من رغبة أو رهبة، فتخرّ ساجدة خشية لله.

أو حديث شريف لنبي أعطاه الله مجامع الكلم وروعة البيان فكانت كلماته مشاعل نور للأمة تقتدي بها إلى يوم الدين.

من قال أنكِ لستِ أديبة؟ وأنت ترسمين معالم الحياة المشرقة عبر آية، أو حديث أو موعظة حسنة!

ومن قال أنكِ لستِ أديبة في التأثير، وهاهي القلوب بفضل الله تستجيب!

ومن قال بأنكِ لستِ أديبة، وأنتِ ترسمين في الأمة معالم حضارة وهدى ونورا!..

ابتسمت وقالت:

مادامت توحدت أهدافنا فلتكن توأمة في الفكر والتوجه، وليكن بيننا الأديب الداعية، والداعية الأديب.

ولنسأل الله الإخلاص والقبول.

فاستقم كما أمرت

بقلم: إلياس العثماني

من أعظم الأشياء التي يسعد بها الإنسان في هذه الحياة الدنيا هي امتثال أوامر الشرع واجتناب نواهيه والسير على المحجة البيضاء التي تركنا عليها سيد الخلق أجمعين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهذا يتجسد في الإيمان بالله سبحانه وتعالى والاستقامة على شرعه، مما يكفل للعبد السعادة في الدنيا والآخرة، والفوز بالنعيم المقيم والخير العظيم، وفي ذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ"، وقال تعالى: "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" ويقول سبحانه: "فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ" وغير ذلك من الآيات، وسأل رجلٌ النبي صلى الله عليه وسلم "قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك" فقال: "قل آمنت بالله ثم استقم" رواه مسلم.

يتبين لنا من خلال هذه النصوص أنها تدور على محور واحد وتلمح إلى أمر واحد ألا وهو الاستقامة، فما هي الاستقامة.

مفهوم الاستقامة:

لقد تعددت أقوال السلف الكرام في معنى الاستقامة فمنهم من فسرها بالطاعة ومنهم من فسرها بالتوحيد ومنهم من فسرها بأداء الفرائض، وآخرون بالإخلاص.. ويمكن جمع هذه التعاريف وبلورتها بقولنا:

الاستقامة هي: استقامة القلب على التوحيد وسلوك الصراط المستقيم الذي هو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة، ويدخل في ذلك استقامة الجوارح على فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، وأصل هذا كله يرجع إلى القلب كما تقدم، فإذا استقام هو على شرع الله تبعته في ذلك الجوارح إذ هو الملك وهم الجنود، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه، وإن كان هذا حال القلب مع الاستقامة فإن أعظم ما ينبغي استقامته بعده هو اللسان، ويروى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كما عند الإمام أحمد من حديث أنس- أنه قال: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه".

ولن أطيل في ذكر آفات اللسان وما يجره على المرء من ويلات فأمره معلوم ولا ينقصه سوى التطبيق، ويكفي في ذلك قوله عليه السلام: "وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم" الترمذي، وقوله: "أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك".

ولما كان من طبع الإنسان السهو والنسيان وأنه لا يستطيع الاستقامة على حال واحدة وأنه لا بد أن يقع منه تقصير فيما أمر به، أمره العليم الحكيم بالاستغفار بقوله "فاستقيموا إليه واستغفروه" ليجبر ذلك التقصير والخلل فيكون دائما على صلة بالله.

فما علينا معاشر المسلمين إلا أن نتمسك بحبل الله جميعا ونستقيم على شرعه، حتى نحظى بالسعادة في الدنيا والآخرة، ونكون مستحقين لنصر الله لنا وحفظه لنا، فلن يرتفع عنا ما نحن فيه من ذل وهوان إلا بالرجوع إلى دين الله كما أخبر الصادق المصدوق في غير ما حديث.

هذا والحمد رب العالمين. والله الموفق للصواب وهو من وراء القصد.

الناس في رمضان

عادل أقصبي

أقبل رمضان بخيره وخيراته، وفرح المسلمون بقدومه فهو الشهر العزيز على النفوس، المليء بالمواعظ والدروس، فكم من عاص تاب وأناب إلى ربه في هذا الشهر، وكم من القلوب المتنافرة تآلفت وتحابت من جديد في هذا الشهر، وكم من متهاون كسلان شمّر على ساعد الجد فأكثر من العبادة، فأحس بلذة السعادة.. إلا أن الناس مختلفون في حقيقة صيامه فالقلة من عقلت أن عبادة الصوم هي كف وحبس للنفس عن شهواتها ولذاتها التي أحلها الله لها في غير رمضان، فيستشعرون بذلك أن الصوم تدريب للنفس على الصبر واستشعار حال الفقر، فتسمو روحهم إلى الإعتراف بنعم الرحمن، وأنهم في ضعف فجل وعلا من تنزه عن النقصان.. هم قوم يجتنبون المعاصي والذنوب، وفي شهر رمضان يستبدلون المباح بالمندوب، فأولئك القوم لهم فرحتان، قال عليه الصلاة والسلام: "للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه"، فبعد انتهاء رمضان تلازمهم نسماته نصف عام، وفي النصف الثاني يبدأ الشوق إلى قدومه، فيعيشون عامهم كله رمضان.

وقوم فهموا من رمضان أنه كف عن الشهوات، وليس له من المعاني إلا أنه تكليف محض، فيقومون بشعائره من صيام وقيام دون استشعار ما للشهر من فضل وقدر عند الله عز وجل، فتجدهم يكفون عن ظاهر المعاصي في نهاره، ويجاهرون بها في ليله، كأن ليل رمضان ليس من رمضان..

وأما السواد الأعظم فهم من ليس لهم من صيامهم إلا الجوع والعطش، ومن أراد أن يتيقن ذلك فليخرج إلى الأسواق ومجامع الناس، وليتتبع برامج التلفاز، فأحدث وأفضل وأروع (بمقياس إبليس) الكوميديات، والمسلسلات، والأفلام عربية كانت أو أجنبية، وأجمل البرامج، تذاع في شهر التوبة والإكثار من العبادة، إلا أن هذا الصنف من الناس بدل أي يقبل على بيوت الله يبكي على ما اقترفه من المعاصي، تجده غارقا في أحداث ذلك اللهو الباطل، يقلب القنوات علّه ينتقي الأشر من ذلك السيل القذر..

وأما أسافل الناس فهم من لا يفرقون في عبادة أهوائهم بين رمضان وغيره من الشهور، فسائر أيام السنة أكل وشرب، ومجون ولهو، ودخان وخمر، وتسكع وسهر.. مع قرناء السوء، ويزدادون شرا في رمضان فيقيمون ليالي الرقص الصاخب، فلا ناه ولا معاتب..

هذه أصناف الناس في رمضان، فكن ممن لزم عتبة العبودية كي تفوز بالسعادة الأبدية، وتتنزه عن الأعمال البهيمية، فربك قد اصطفاك بالعقل، وكرمك بحمل الأمانة، فلا تضيعها.

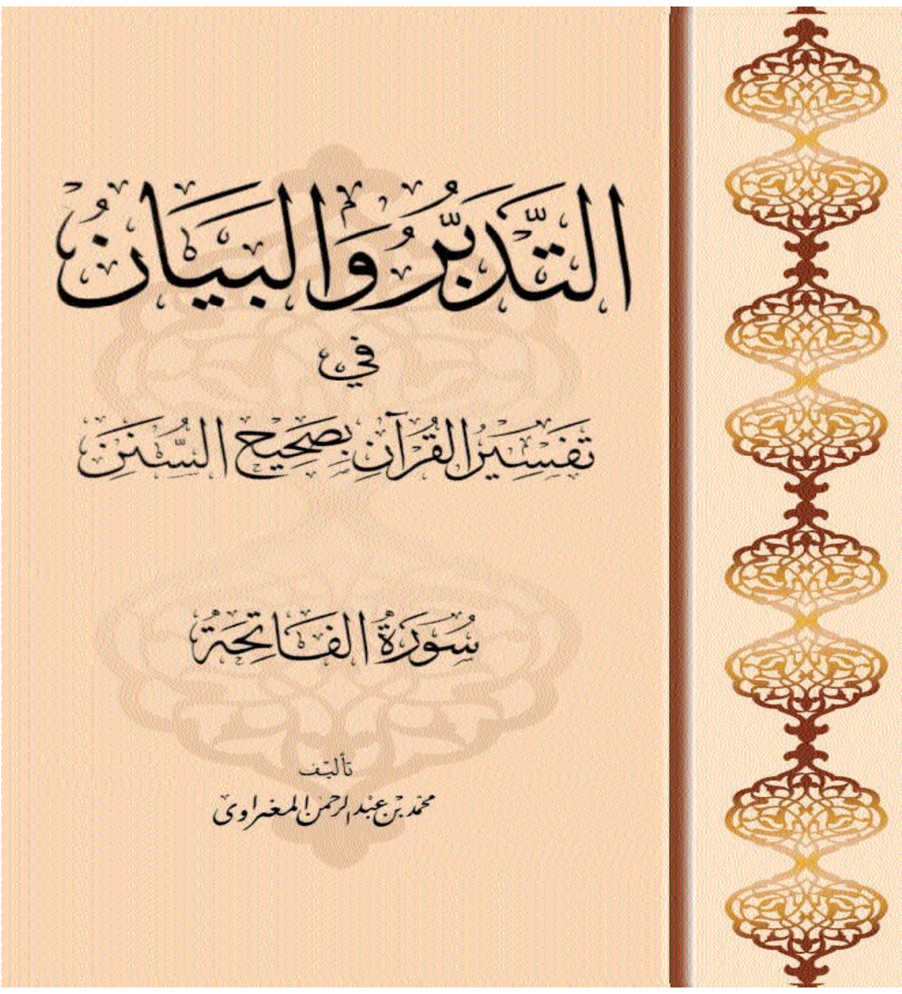
العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

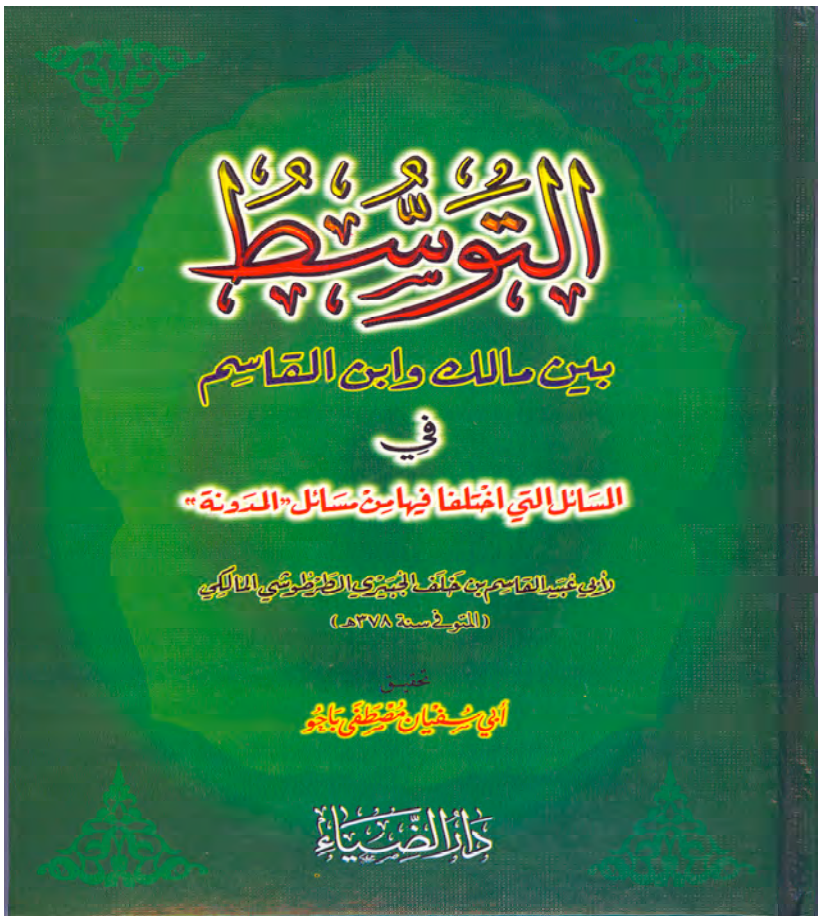
هذا الجزء في تفسير فاتحة الكتاب، التي جعلها الله فرضا في قراءة كل ركعة، لما تتضمنه من المعاني العظيمة التي يحتاج إليها المسلم في كل لحظة، وعليه أن يتذكرها ويستحضرها في كل قراءة حتى يستقيم حاله ويصحح عقيدته، ويعترف لله بكمال العبودية..

فالفاتحة من جوامع الكلم التي تضمنت أصول التوحيد والمعتقد، وأصول العبادات والسلوك.. اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن؛ فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها.. وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها. وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل.. وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة..

فمن تحقق بمعاني الفاتحة علماً ومعرفة وعملاً وحالاً فقد فاز من كماله بأوفر نصيب، وصارت عبوديته عبودية الخاصة، الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين. والله المستعان.

هذا الكتاب يعتبر جزء من المشروع الكبير لتفسير القرآن المسمى بالتدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن ترقبوه قريبا إن شاءالله في الأ سواق.





التوسط بين مالك وابن القاسم كتاب في الفقه المالكي تتبع فيه المؤلف رحمه الله (أبو عبيد القاسم بن خلف الطرطوشي م 378هـ) أعيان المسائل التي اختلف فيها الإمام مالك وابن القاسم من مسائل المدونة ومجموعها 44 مسألة، متوسطا القول بينهما في ذلك مبينا مأخذ كل واحد منهما وعلة اختياره، مرجحا لما تبين له أنه أرجح دليلا وأقوم سبيلا.

المؤلف رحمه الله من أهل القرن الرابع الهجري، وهذا ما يجعل كتابه عزيزا وفريدا في بابه، لتقدم مؤلفه وقربه من العهود الزاخرة للفقه الاسلامي قبل شيوع التقليد والركون إليه.

وقد قام الأستاذ أبو سفيان مصطفى باحو مشكورا بتحقيق هذا الكتاب وإخراجه إلى عالم الطباعة لأول مرة مساهما بذلك في إغناء خزانة التراث المالكي وإعادة إحياءه.



يعتني بشرح متن تحفة الأطفال في فن تجويد كتاب الله تعالى، ويقرب هذا الفن لجميع الفئات على مختلف الأعمار، وقد اتبع المؤلف فيه طريقة سهلة ميسرة، مصحوبة بجداول توضيحية وتمرينات تطبيقية.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

تسلية وترويح

القط الأعمى

كان ابن بابشاذ في مصر إمام عصره في علم النحو، ويُحكى أنه كان يومًا في سطح جامع مصر، وهو يأكل شيئًا وعنده ناس. فحضرهم قط فرموا له لقمة، فأخذها في فيه وغاب عنهم ثم عاد إليهم، فرموا له شيئًا آخر، ففرَّ كذلك، وتردّد مرارًا كثيرة وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب به ثم يعود من فَوْرِه حتى عجبوا منه، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته.

فلما استرابوا حاله، تبعوه، فوجدوه، يَرْقَى إلى حائط في سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضع خالٍ وفيه قط أعمى، وكل ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه، وهو يأكله. فعجبوا من تلك الحال، فقال ابن بابشاذ: إذا كان هذا حيوانًا قد سخّر الله له هذا القط ليقوم بكفايته، ولم يحرمه الرزق، فكيف يُضيِّع مثلي؟

النساء أربع والرجال أربعة

كان المغيرة بن شعبة يقول: النساء أربع والرجال أربعة: رجل مذكر وامرأة مؤنثة، فهو قوّام عليها، ورجل مؤنث وامرأة مذكرة، فهي قوامة عليه، ورجل مذكر وامرأة مذكرة، فهما كالوعلين ينتطحان، ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة، فهما لا يأتيان بخير ولا يفلحان.

كأن أمه نطحتك

حضر أعرابي على مائدة بعض الخلفاء، فقُدِّم جدي مشوي، فجعل الأعرابي يسرع على المائدة في أكله منه، فقال له الخليفة: أراك تأكله بحَرَدٍ - بغضب - كأن أمه نطحتك! فقال: أراك تشفق عليه كأنَّ أمه أرضعتك!

يهرب من ضيفه

نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة، فأخلى له المنزل، ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه في هذه الليلة، فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثم رجع وكتب إليه:

يا أيها الخارج من بيتـــه   وهاربا مــن شـــدة الخــوف
ضيفك قد جاء بزاد لـــه   فارجع وكن ضيفا على الضيف

لم لا تدعوني إلى طعامك

قال رجل لبعض البخلاء: لم لا تدعوني إلى طعامك؟ قال: لأنك جيد المضغ سريع البلع، إذا أكلت لقمة هيأت أخرى، فقال: يا أخي، أتريد إذا أكلت عندك أن أصلي ركعتين بين لقمتين؟

مات شبابي!

سألت شيخا عن صبغ لحيته   ولــبسه للسواد في البــلد
فقال لي والدمــوع جاريـــة   مـــن مقــلتيــه تسيـل كـالمــدد
مات شبابي فقد حزنت وقـــد   ألبست شعري السواد مع جسدي

الولد الأحمق

قال رجل لامرأته: الحمد لله الذي رزقنا ولدا طيبا، قالت: الحمد لله، فلم يُرزق أحد مثل ما رزقنا به، فدعوا ولدهما، فجاء، فقال له أبوه: يا بني، من حفر البحر؟

قال: موسى بن عمران، قال: ومن بلطه؟، قال: محمد بن الحجاج.

فشقت المرأة قميصها، ونشرت شعرها، وجعلت تبكي، فقال زوجها: ما بك؟ قالت: لا يعيش ابني مع هذا الذكاء!

باقل الأحمق

اشترى باقل عنزا بأحد عشر درهما، وجرها بحبل، فسئل: بكم اشتريت العنز؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه، وأخرج لسانه، يريد أنه اشتراها بأحد عشر درهما.

فشردت العنز وضاعت، وفيه يقول الشاعر:

يلومون في حمقــه باقـــلا   كأن الحماقـــة لم تخلـق
فلا تكثرون العذل في عيـه   فللصمت أجمل بالأموق
خروج اللسان وفتح البنان   أحب إلينا مـن المنطـق

حكم ومواعظ

علاج الهوى

إن مالت نفسك إلى الشهوات فاكبحها بلجام التقوى، إن أعرضت عن الطاعات فسقها بسوط المجاهدة، وإن اسْتَحْلَتْ شراب التواني، واستحسنت ثوب البطالة، فصح عليها بصوت العزم، وإن سدرت في مجال العجب فذكرها خساسة الأصل، فإنك والله لن تحصل على ذروة من عافية ما لم تجد مرارة الدواء في حلقك.

عاقبة الغش

كان لبان يخلط اللبن بالماء فجاء سيل فأهلك الغنم، فجعل يبكي ويقول: اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا، ولسان الجزاء يناديه: يداك أوكتا، وفوك نفخ.

ضياع الفرصة

وكم فرصة فاتت فأصبح ربها   يعض عليها الكف أو يقرع السنا

عواقب المعصية والذنب والتفريط

من توسخت ثياب معاملته بالمعاصي لم يقرب من المقربين، ومن دنست الذنوب وجه جاهه ذل بين الأكرمين، ومن ركب ظهر التفريط نزل به داء الندامة.

كمياء السعادة

التوبة الصادقة كمياء السعادة، إذا وضعت منها حبة صافية على جبال من أكدار الذنوب دكته هيبة التجلي قبل المباشرة، وصار كحلا لأحداق البصائر.

مر يسر خير من حلو يضر

فإن المر حين يسر حلـــــو   وإن الحلو حين يضر مرّ
فخذ مرّا تصادف فيه حلوا   ولا تعدل إلى حلو يضرّ

العلم والعمل

العلم والعمل توأمان، أمهما علو الهمة، أيها الشاب جَوْهِرْ نفسك بدراسة، وحلها بحلية العمل به، فإن قبلت نصيحتي وصلت لقمة المجد.

في وصف الدنيا

ميزت بين جمالها وكمالها   فإذا المحبة بالخيانة لا تفي
حلفت لنا ألا تخون عهودنا   فكأنها حلفت لنا ألا تفـــي

الحسد

الحسد يوجب طول السهر، وقلة الغذاء، ورداءة اللون، وفساد المزاج، ودوام الكمد.

قال الحكيم:

ألا قل لمن كان لي حاســـدا   أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمـــه   لأنك لم ترض لـي ما وهــب
فجازاك عنــي بــأن زادني   وسد عليك وجوه الطلـــب

النحو والأدب والشعر

قال ابن السكيت: خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب وتشتهيه الآذان، وخذ من النحو ما تقيم به كلام ودع الغوامض، وخذ من الشعر ما يشمل على لطيف المعاني.

قال علي بن الحسن الباخرزي

حمل العصى للمبتلـــى   بالشيب عنوان البـلى
وصف المسافـر أنــــه   ألقى العصا كي ينـزلا
فعلى القياس سبيل من   حمل العصا أن يرحلا

سؤال وجواب

قيل لي لم جلست في آخر القو   م وأنت المجيد رب القـــوافي؟
قلت: آثرته لأن المناديـــــــ   ـل يرى طرزها على الأطراف

من روائع البيان

قال أبو حيان التوحيدي:

- خير القول ما انعقد بالصواب.
- وخير الصواب ما تضمن الصدق.
- وخير الصدق ما جلب النفع.
- وخير النفع ما تعلق بالمزيد.
- وخير المزيد ما بدا عن الشكر.
- وخير الشكر ما بدا عن إخلاص.
- وخير الإخلاص ما صدر عن توفيق.

ما قل ودل

- من أفرط في المقال زلَّ، ومن استخف بالرجال ذلّ.
- ومن حسنت مساعيه، طابت مراعيه.
- وإذا كرمت السجية، حسنت الطوية.
- ومن أعزَّ فِلسَه، أذلَّ نفسه.

فضيلة التقى والعمل الصالح

الموت بحر موجه طافـــح   يغرق فيه الماهر السابـح
ويحك يا نفس قفي واسمعي   مقالة قد قالهــا ناصـــح
ما ينفع الإنسـان في قـبره   إلا التقى والعمل الصالح

أضف إلى معلوماتــك

الموقع الجغرافي لمكة المكرمة:

تقع مدينة مكة المكرمة على السفوح الدنيا لجبال السروات، فهي تمثل نقطة التقاء بين تِهامة وجبال السروات، وبذلك فهي تقع في غرب شبه الجزيرة العربية "غرب المملكة العربية السعودية" وتقع على بعد 75 كم شرق البحر الأحمر، كما تقع بجوارها إلى الجنوب الشرقي على بعد 80 كم تقريباً مدينة الطائف.

الموقع الفلكي: تقع مكة المكرمة على دائرة عرض، 19، 25، 21 شمالا وخط طول 26، 59، 39 شرقاً، وترتفع بمقدار 300 متر عن سطح البحر.

التضاريس:

تضاريس مكة المكرمة عبارة عن مرتفعات جبلية ذات تركيب جرانيتي، وتقع مكة المكرمة على سفوح هذه الجبال.

البناء الجيولوجي:

ذكر المهندسون "أن منطقة مكة المكرمة تعد جزاء من الدرع العربي، ومعظم صخورها نارية جوفية، والذي يغلب عليه نوع الصخور النارية الجرانيتية والتي يدخل في تركيبها الصخري "الكوارتز ديورايث"إلى "التونالايت"، كما يوجد بعض التكوينات الرسوبية والمتحولة.

وبوجه عام فإن البناء الجيولوجي لمكة المكرمة يعود إلى أزمنة جيولوجية قديمة، فصخورها تعود إلى التكوينات الأركية التي تتمتع بمقاومة جيدة للعوامل الجيوموفولجية الظاهرية والباطنية.

المناخ:

تقع مكة المكرمة ضمن المنطقة الانتقالية بين تأثيرات مناخ البحر المتوسط والمناخ الموسمي، ويؤثر البحر الأحمر فيها بنسبة ضئيلة جداً، ومكة المكرمة تقع ضمن المنطقة المدارية الشمالية، لذا فإن درجة الحرارة ترتفع بها في الصيف وفي الشتاء دافئ، وأمطارها قليلة وغير منتظمة ورياحها تكون في الشتاء شمالية غربية، وفي الصيف شمالية شرقية جافة.

العدد 15 - 08 رمضان 1427 الموافق لـ 01 أكتوبر 2006

صفات من تختار للصحبة

قال الأوزاعي رحمه الله: "الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب، إذا لم تكن مثله شانته".

ومن ثم "فما كل أحد يستحق أن يعاشر ولا يصاحب ولا يسارر" قاله القرافي رحمه الله.

وقد ذكر العلماء فيمن تؤثر صحبته ومحبته خمس خصال: أن يكون عاقلا، حسن الخلق، غير فاسق، ولا مبتدع، ولا حريص على الدنيا.

أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير في صحبة الأحمق.

ونعني بالعاقل الذي يفهم الأمور على ما هي عليه؟ إما بنفسه وإما إذا فهم.

قال علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا الجهل
وإيـــــاك وإيــــــاه
فكم من جاهل أردى
حليما حـــين أخـــاه

أما حسن الخلق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه، ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه، وخالف ما هو المعلوم عنده، لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه، فلا خير في صحبته.

أما الفاسق فلا فائدة في صحبته، فمن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته، بل يتغير بتغير الأعراف إضافة إلى أن صحبة الفاسق تورث الشهوة.

قال تعالى: "فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا".

أَما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها إليه، فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة -بشروطه وضوابطه-، فكيف تؤثر صحبته.

قال أحد السلف صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق.

أما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل، لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالس الحريص على الدنيا تحرك الحرص، ومجالس الزاهد تزهد في الدنيا، فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة.

قال الناظم:

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهـــــم
لا يستوون كما لا يستوي الشجر
هذا له ثمر حلــــو مذاقتــــه
وذاك ليس لـه طعـم ولا ثمـر

الصحبة الطيبـــة

لا شك أننا في زمن انحلت فيه الأخلاق، وضاعت فيه الآداب، ورق فيه التدين، وأسباب ذلك كثيرة جدا ومن أعظمها فقدان الرفقة الصالحة والصحبة الطيبة لأن هذه الأخيرة من الوسائل المعينة على محاسن الأخلاق وحسن الآداب، وعلى قوة التدين، وكما قيل قديما: الصاحب ساحب، وما ذلك إلا لأن الطبع لص يسرق من الطبع الآخر الخير والشر.

قال عليه الصلاة والسلام: "**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير -الحداد-، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة**" رواه البخاري ومسلم.

وليعلم أن دين المرء وأخلاقه على قدر من يصاحب ويخالل.

قال عليه الصلاة والسلام: "**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**" صحيح الجامع.

وقد قيل قديما: قل لي من تصحب أخبرك من أنت.

قال الناظم:

أنت في الناس تقــاس
بالذي اخترت خليـلا
فاصحب الأخيار تعلو
وتنل ذكرا جميــــــلا

ومما يدل على فضل صحبة الأخيار أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال عليه الصلاة والسلام المرء مع من أحب" رواه البخاري ومسلم.

فليحرص المرء إذن على صحبة الأخيار وليحذر من صحبة الأشرار، فإن الصحبة السيئة تضع رفيقها على شفا جرف هار وسرعان ما ينهار به في نار جهنم عياذا بالله.

قال تعالى: "وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً".

فرفقاء السوء وبال على المرء في الدنيا والآخرة.

قال مالك بن دينار رحمه الله: "إنك لإن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص - حلوى تصنع قديما من الدقيق والتمر والسمن- مع الفجار".

وقال أبو الأسود الدؤلي: "ما خلق الله خلقا أضر من الصاحب السوء".

وقال ابن حبان رحمه الله في روضة العقلاء: "العاقل لا يصاحب الأشرار لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار تعقب الضغائن، ولا يستقيم وده، ولا يفي بعهده، وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيرا تكون مجالسة الكلب خيرا من عشرته، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار".

وقد قرر العلماء ما ذكره ابن حبان رحمه الله من أن صحبة الكلب أفضل من صحبة صاحب السوء لأن هذا الأخير لا يدوم وده ولا يفي بعهده بخلاف الكلب فإنه يبقى وفيا لصاحبه الذي أحسن إليه، فهذا الإمام أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان البغدادي رحمه الله ألف رسالة سماها "فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب"، وقد ذكر ذلك كذلك الإمام السيوطي رحمه الله في رسالة له سماها: "الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب".

فالعاقل إذن هو الذي يلزم صحبة الأخيار ويفارق صحبة الأشرار لأن مودة الأخيار سريع اتصالها ومودة الأشرار سريع انقطاعها.

قال عليه الصلاة والسلام: "**لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي**" صحيح الجامع.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: "**لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل تنتفع به في أمر دنياك أو رجل تزيد معه وتنتفع به في أمر أخراك، والاشتغال بغير هذين حمق كبير**".

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "صاحب أهل الدين وصافهم واستفد من أخلاقهم وأوصافهم".

ومع قولنا أن المرء ينبغي عليه أن يحرص على صحبة أهل الخير إلا أننا نقرر أن ذلك قد عز وجوده في هذا الزمن حتى صار الصاحب الصالح كالكبريت الأحمر كما يقال.

قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: "نراك كثير الزيارة للقبور فقال: أجلس إلى قوم يُذكرونني معادي، وإذا غبت عنهم لا يغتابونني".

وقيل لإبراهيم بن أدهم لما لا تصحب الناس فقال: "إذا صحبت من هو أعلى مني تكبر علي، وإذا صحبت من هو مثلي حسدني، وإذا صحبت من هو دوني لم يعرف حقي، فصحبت نفسي".

قال الناظم:

سمعنا بالصديق ولا نـراه
على التحقيق يوجد في الأنام
وأحسبه محالا جــــوزوه
على الوجه المجاز من الكلام.

لكن لا يعني هذا بحال أن لا يبحث المرء عن صاحب صالح أو عن رفقة طيبة، فمن علم الله جل وعلى منه الخير والحرص على ذلك وفقه إليه.

والصحبة الصالحة قائمة على دعائم وأسس:

أولها: الإخلاص لله جل وعلا.

فما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل.

ثانيها: أن تكون الصحبة قائمة على المحبة في الله ولله، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: "من سرَّه أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله".

ثالثها: الصبر، قال تعالى: "وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً".

ولا يلزم من هذا كله أن يكون الصاحب لا زلل له ولا خطأ، لأن العبرة بغالب حال المرء كما بينه الذهبي رحمه الله في السير.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "**من بحث عن أخ لا زلل له بقي بلا أخ**".



"صدر بحمد الله كتاب أحكام الصيام"